من التاريخ

(مشاهد .. شخصيات .. معارك)

الدكتور/مدحت محمد العزب

من التاريخ

(مشاهد، شخصيات، معارك)

بطاقة الكتاب

اسم الكتاب: من التاريخ (مشاهد، شخصيات، معارك)

المؤلف: د. مدحت محمد العزب

التنسيق والإخراج الفني: سليل الفراعنة

المقاس: ١٤.٨×٢١ (a5)

الطبعة الأولى: ٢٠٢٣

رقم الإيداع: 2023/ 21752

(ISBN): 978-977-94-7469-4

الناشر: نشر خاص (المؤلف)

جميع حقوق طبع ونشر هذا الكتاب محفوظة للؤلف،
وأي محاولة لطباعة الكتاب بأي شكل من الأشكال
دون الرجوع إليه يعرض صاحبه للمسائلة القانونية

من التاريخ

(مشاهد، شخصيات، معارك)

الدكتور

مدحت محمد العزب

إهداء

إلى...ابنتى الحبيبة منة. رغم أنك – للأسف الشديد – لن تستطيعى قراءة هذا الكتاب.

❊ ❊ ❊

مقدمــة

تتوالى وقائع التاريخ عبرالزمان والعصور والقرون، مليئة بالعبر والمشاهد والأحداث والمعارك والقصص والطرائف، وقائع التاريخ ليست مجرد للسرد والتسلية، إنما تاريخ الأمم والشعوب هو ذاكرتها وماضيها وجذورها ومنه تستلهم عظة الحاضر وآفاق المستقبل.

فالتاريخ بالفعل يعيد نفسه، بالتأكيد ليس بنفس الحوادث والأشخاص والأحداث، إنما تتشابه الأحداث والمواقف والنتائج مع إختلاف الأشخاص والأزمنة، فإذا نظرنا إلى أسباب ودوافع سقوط وإنهيار الدول لوجدناها متشابهة وتجمعها قواسم مشتركة من الإنهيار الأخلاقي والظلم والصراع على السلطة...ومن هنا فإن التاريخ كعلم من العلوم الإنسانية الإجتماعية من أهم العلوم التي يجب دراستها وقراءتها بعمق وحب ، للوقوف على أمجاد أمتنا وأسباب قوتها وحضارتها، والتعرف على أسباب الضعف والانكسار والفرقة، وأخذ العظات والعبر من دروس التاريخ.

والتاريخ العربى والإسلامى ملىء بالأحداث الجسام من معارك وأحداث ومواقف وعبر ودروس بل وطرائف جميلة حدثت بالفعل، ولا ينفصل تاريخ العرب قبل الإسلام عن جسوره فيما بعد بالتاريخ بعد ظهور دين الله الحق وبزوغ أعظم دولة حضارية تاريخية وهى دولة الإسلام بعد بعثة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

و هذا الكتاب يتناول بعض المشاهد والمواقف والطرائف التاريخية المتنوعة، وقد حرصت فيها على التنوع في العصور والأشخاص والموضوعات، فمنها ما يعود للعصر الجاهلى أو عصر ما قبل الإسلام. ومنها ما يركز على الأشخاص، ومنها ما يركز على الأحداث، ومنها ما يركز على الطرفة والمعلومة التي تجمع ما بين كونها تاريخية وبين ما فيها من طرفة وظرف.

وقد حرصت – مع التنوع – على أن يتم تناول الموضوع بإيجاز لا يخل بالمعنى وكمية المعلومات التاريخية التي سيجدها القاريء بسهولة وتركيز وربط بعض الأحداث والوقائع التاريخية بعضها ببعض حتى يتواصل جسور المعلومات التاريخية بطريقة سهلة مبسطة.

❊ ❊ ❊

الفصل الأول

النعمان بن المنذر.. بين الحيرة وذي قار

النعمان بن المنذر أشهر أمراء مملكة الحيرة التي دانت للولاء في الجاهلية لدولة الفرس وحليفتها الحيرة تعادل النفوذ العربى المقسم بين دولة الفرس وحليفتها الحيرة ودولة الغساسنة حليفة الرومان.

بنى النعمان بن المنذر في مملكته الحيرة قصر "الخورنق" وعهد إلى بناء هذا القصر إلى مهندسه "سنمار" الذي صمم أن يبنى له قصرا رائعا لا مثيل له في عهده لعله ينال الجزاء الحسن من النعمان، فقسم الأرض وحاصر الأنهار المتفرعة في المدينة ورص الأحجار فوق بعضها البعض، زرع النباتات الزاهية النادرة الجميلة، وأقام السجون والأقبية وحجرات التعذيب، وبنى ثكنات الحرس ومخازن السلاح والسيوف، وبنى جناحا شتويا خاصا، ثم بنى الجناح الصيفي وأجرى النهر بين جنباته، وبنى قاعة خاصة بالعرش أحاطها بالدهاليز والأبواب التي حرص أن تكون منخفضة، حتى تدخل كل الوفود وهى منحنية أمام النعمان، الذي كان أول من يدخل حتى لا ينحني أمام أحد.

أكمل "سنمار" بناء قصره الرائع "الخورنق" وذهب ممنيا النفس بما سوف ينال من النعمان جزاء بناء هذا القصر الجميل الذي ليس له مثيل، أراد سنمار أن يزيد من عطاء وإحتياج النعمان اليه، ونسى ان الملوك والحكام لا يحبون أن يكون لهم سر أو صنيع أو حوجة عند أى شخص، أخبر سنمار النعمان وهو

يوريه جمال قصره بأن هناك سر خفى في بناء القصر وهو أحد الأحجار محور القصر إذا نزع من مكانه إنهارت كل أحجار القصر، أبدى النعمان إعجابه ببراعة مهندسه ووعده بكتمان السر، وفى لحظة دفعه النعمان دفعة واحدة ليسقط سنمار من فوق السور ويبقى سر القصر محفوظا، وينال: جزاء سنمار" التي ذهبت مثلاً لمن يغدر بأحد بدلا من الشكر والمعروف.

جاء النعمان بن المنذر ملكاً للحيرة بعد أن نال موافقة وتزكية كسرى ملك الفرس، ولعب " عدى بن زيد " وهو كاتب ومستشار كسرى دوراً في إختيار النعمان وتزكيته من قبل كسرى فارس فعاد النعمان من المدائن عاصمة الفرس ملكاً للحيرة وأشهر ملوك المناذرة.

ويرتبط تاريخ النعمان بن المنذر بيومين مشهورين " يوم للبؤس ويوم للنعيم، حيث كان له نديمان: خالد بن المضلل وعمرو بن مسعود، كانا لا يغادران مجلسه ولا يفارقانه، وينامان أمام باب غرفته حتى يستقيظ، يبرران أفعاله وقسوته أمام وفود القبائل، كانا نديمان مثاليان لا يستغنى عنهما أى ملك، وفى ذات ليلة كان مزاج النعمان صعبا، وشرب كثيراً من الخمر، وشرب معه نديماه، ولعبت الخمر برؤوس النعمان ونديميه، قال النعمان شعراً وسأل النديمين الثملين عن رايهماً في شعره، أجاب النديمان المخموران بأن شعره أردأ شعر سمعاه، جن جنون النعمان وأحس بالخيانة وفى لحظة غضب شديدة، أمر حراسه أن يدفنوا نديميه وهما على قيد الحياة، غرق النعمان في نوم عميق، أفاق في الصباح لم يجد النديمين نائمين كالعادة على بابه، تذكر النعمان

ما فعله بنديميه، أحس بالندم الشديد على قتلهما أحياء، بكى بدموع الندم الحقيقية، وأمر ببناء نصب عالى على كل قبر، وأقسم أن يمر بينهما كل وفود العرب الداخلين إلى الحيرة، وجعل في العام يومين، يوم للنعيم من دخل الحيرة فيه قدم له مائة من النوق الحمر، ويوم للبؤس من دخل فيه ذبحه ولطخ بدمه النصبين.

تصادف دخول عنترة بن شداد العبسى دخول الحيرة في يوم النعيم، تقدم عنترة وهو مقيد بحبال مجدولة من ليف النخل، حراس النعمان يهوون على ظهر عنترة بالسياط والعصى، سقط عنترة تحت قدمى الملك النعمان الذي صرخ فيه غاضباً:

- أيها العبد الأبق.كيف تجاسرت على سرقة النوق الحمر من مراعينا؟؟

أجاب عنترة بأنه أراد مهر عبلة الذي طلبه أبوها وعمه مالك من النوق الحمر..

كان الحظ والقدر مع عنترة، فلم تشفع له قوته أو بطولته أو شجاعته أمام جيوش وحراس النعمان، كان اليوم يوم النعيم الذي خصصه النعمان للعفو وإكرام من يقع في قبضته في هذا اليوم مهما كانت جريرته، وهب النعمان النوق الحمر لعنترة وعاد إلىٰ بني عبس سالمًا بالنـــوق والفضل ليوم النعيم.

وعلى النقيض فقد كان حظ "عبيد بن الأبرص" عاثراً حيث دخل على النعمان في يوم البؤس، كان النعمان والجلاد في إنتظاره وحين إقترب منهم قال النعمان في أسى:

- هلا كان الذبح لغيرك يا عبيد
- قال عبيد: أتتك بخائن رجلاه...فصارت مثلا.

قال النعمان: وماذا ترى؟

قال عبيد: أرى الحوايا عليها المنايا..فصارت مثلا.

قال النعمان: ما أشد جزعك من الموت.

قال عبيد: لا يرحل رحلك من ليس معك...فصارت مثلا.

قال النعمان: لابد من موتك، لو جاء أبى ودخل الحيرة في يومى هذا لذبحته، فإختر طريقة، إن شئت الأكحل وإن شئت الأبجل وإن شئت الوريد.

قال عبيد: ثلاث خصال كسحابات عاد ومعادها شر معاد ولا خير فيها لمرتاد، إن كنت لا محال قاتلى فإسقنى من الشراب حتى إذا ماتت مفاصلى وذهلت دواهلى فأنت وما تريد.

فقتل عبيد بن الأبرص في يوم بؤس النعمان، ولطخ به النصبين.

* المتجردة..والنابغة الذبياني.

المتجردة هو لقب زوجة النعمان بن المنذر، وإسمها الحقيقى هند بنت عامر، كانت إمراة جميلة يحمل جسدها حرماناً خاصاً بعد أن إكتشفت عجز زوجها

النعمان وملت من رؤية وجهه الدميم الأبرش، وقد دخلت في حياتها صديقة قادمة من اليمن تدعى " رقاش "، إحتلت فراغ حياتها ووحدتها، وكانت تشاركها الفراش عندما يخرج النعمان للصيد، وسرعان ما وقع المرآتان في العشق الممنوع، وأصبحت هند بنت عامر أول إمرأة في تاريخ العرب تعشق من نفس جسدها، وماتت رقاش فجأة في لحظة نشوة لم يتحملها جسدها، يقال إن هند كانت تتجرد من ملابسها تماما وتغطى جسدها بالجواهر واللؤلؤ.

رأت المتجردة الشاعرين النابغة الذبياني وهو أحد فحول شعراء الجاهلية والشاعر المنخل اليشكرى، جمعتها بهما مجلس الشعر، أحسست بالرغبة اليهما الأثنين، أحس النعمان بالأمر فكان أحد الأيام وحراس النعمان يحملون جثة المنخل إلى حافة النهر، لقد اكتشف النعمان الأمر، غفر للمتجردة ولم يغفر للمنخل.

وفى ذات يوم كان النابغة الذبياني يتجول في قصر الخورنق ضيفا على النعمان، رأى المتجردة عارية تماما من ملابسها، توقف النابغة مبهوراً وتمنت هى أن يقترب، ومن هذا اليوم فارقها إسم هند وظل لقب المتجردة لصيقا بها.

وفى أحد الأيام وفى بلاط النعمان سأل النابغة:

- لنر يا نابغة إن كنت جديرا بإسمك..إرتجل شعراً، وصف لنا هنداً.

تلجلج النعمان وتلعثم ثم بدأ يستعيد نفسه، تذكر لحظة عندما شاهدها متجردة في الماء، وصف هذا الجسد وهذه اللحظة النادرة، توقف النابغة فجأة، لقد صرح أكثر مما ينبغى وفضح نفسه وفضح مشاعره.

غادر النعمان المجلس وأمر الحراس بمطاردة النابغة وقتله فور القبض عليه، إستطاع النابغة الهرب إلى الصحراء، وفلت من مصير المنخل الذي عب من عشق المتجردة حتى إكتشف النعمان أمره وقتله.

*** النعمان يغدر بعدى بن زيد .**

صعد النعمان بن المنذر إلى عرش الحيرة بمساعدة عدى بن زيد مستشار كسرى الذي رشح له النعمان وأوصى عدى النعمان بما يزكيه ويحسنه عند كسرى فارس، كان عدى بسيطا زاهداً في الملك ناصحاً للنعمان وفياً له، إلا إن الوشاة وهاجس النعمان من نفوذ عدى بن زيد، جعلت النعمان يرتكب حماقة وخطأ قتل عدى وخط بداية النهاية له، وحفر قبره بيده..

قتل النعمان عدى خنقا داخل سجنه، وعندما جاء رسول كسرى لينقذه، تظاهرأمام الرسول بالحزن والبراءة من قتله، وأسبغ عليه الهدايا ليصور الأمر كأنه حادث عابر.

خلف عدى بن زيد إبنا أسماه زيدا كأن في تكرار الإسم تأكيد وجوده وإنه سيأخذ ثأر أبيه، ورث زيد بن عدى بن زيد منزلة أبيه عند كسرى الفرس ونال ثقته ومنزلته، وصمم الأبن أن ينال ثأر أبيه المغدور.

وكانت لملوك الفرس صفة من النساء، مكتوبة عندهم، يبعثون في طلب من يكون على هذه الصفة ليضموها إلى جواربهم وحريمهم من النساء، لم يكن الأكاسرة يبحثون عنها في بلاد العرب، ولكن زيداً إنتهز الفرصة وهمس في أذن كسرى إن هذه الصفات المطلوبة موجودة في نساء الـ المنذر، وعند عبدك النعمان من بناته وأخواته وأهله.

وتحمس كسرى للفكرة ولكن زيداً همس له محذراً ومستعدياً:

- قد يرفض النعمان أنفة من أن يصير حريمه جوارى في قصر كسرى وسيزعم إنه لا يوجد لديه نساء بهذه الصفات.

قال كسرى:

- أنا الذي وليته الملك، وأنا الذي سأجعل دمه مباحاً لوعصانى.

وتنجح حيلة زيد بن عدى بن زيد في الإيقاع بين كسرى والنعمان وتقليب كسرى عليه، ويطلب كسرى ذهاب النعمان إليه الذي يعلم إنه لا شك مقتول عند كسرى في عاصمته المدائن، يستنجد النعمان بالقبائل العربية التي طالما قدمت إليه الطاعة، ولكنها رفضت نصرته خوفاً من غضب كسرى عليها، أجاره هانىء بن مسعود صديقه الأخير في الصحراء نصحه بأن يذهب إلى كسرى أما ينال عفوه أو يموت إن كان لا مفر من الموت، أفضل من الذل والمهانة والمطاردة وهو الملك المنعم.

إستجاب النعمان للنصح ذهب بنفسه إلى مدائن كسرى الفرس، مرعبة هى المدائن عندما تدخلها مهدداً مغضوباً عليك، وقاسى هو كسرى عندما

يدفعك ذليلا إلى السجن، يسمع النعمان أصواتاً غريبة في مكان مظلم موحش وأصوات مختلطة متنافرة.

- من أنتم.أنا الملك النعمان
- نحن المرضى المحتضرون المساجين، والطاعون والسجن لا يفرق بين الملك والعبد.

مات النعمان ..فى سجنه.

*النعمان ...ويوم ذى قار

عندما طلب كسرى بن هرمز النعمان، وأدرك النعمان نهايته، إستجار ببنى شيبان وأجاره سيدها هانىء بن مسعود الشيباني الذي نصحه بالذهاب للقاء كسرى، وتعهد هانىء للنعمان أن يكون حريمه وماله في ذمته لا يخلص إليها حتى يخلص إلى بناته وماله، ومات النعمان في سجن المدائن وقت الطاعون، أقام كسرى على الحيرة المملكة العربية التي تدين له بالولاء على حدود العراق، ملكاً جديداً هو إياس بن قبيصة الطائي، وكلفه كسرى بأن يحضرما عند هانىء بن مسعود من نساء النعمان وسلاحه وماله، بعث إلياس إلى هانىء يأمره بأمر كسرى من إنفاذ نساء وعتاد ومال النعمان، وقال له:

- لا تكلفنى أن أبعث إليك ولا إلى قومك بالجنود تقتل المقاتلة وتسبى الذرية، ولكن في موقف عربى أصيل مفعم بالوفاء للعهد والوعد والشهامة العربية، أبى هانىء الشيباني أن يسلم ما عنده من وديعة النعمان، متحدياً بذلك ملك الحيرة الجديد وكسرى الفرس.

ومن هنا كانت معركة ذى قار التي _ إن صحت الروايات _ كانت يوم فخر للعرب قبل ظهور الإسلام، حيث إستطاعت قبائل صغيرة من بنى شيبان وبكر بن وائل التصدى والصمود والإنتصارعلى دولة الفرس بقيادة كسرى، وكان من نتيجة ذلك ذهاب هيبة الفرس من نفوس العرب ومهدت إلى الإنتصارات الإسلامية فيما بعد في نهاوند والقادسية، حتى إنتهت هذه الدولة العظمى حينها برايات دولة الإسلام.

ويختلف المؤرخون في تاريخ يوم ذى قار، فمنهم من جعله في يوم ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنهم من جعله قبل الهجرة إلى المدينة، ومنهم من جعله في عام غزوة بدر الكبرى وذهب المؤرخ نولدكه إلى إنه بين عامى ٦٠٤ و٦١٥ م، أما روتشتاين فيقول إنه كان حوالى سنة ٦٠٤ م.

وأكثر المؤرخين يقولون إنه وقع بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، ويروون في ذلك حديثاً ضعيفاً إن الرسول صلى الله عليه وسلم لما بلغه من هزيمة جيش كسرى قال:

- " هذا أول يوم إنتصف العرب من العجم، وبى نصروا ".

و قد يؤكد وقوع هذا اليوم بعد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم أن العرب في المعركة إتفقوا أن يكون نداؤهم عند اللقاء (يا محمد يا منصور).

وكان هذا الإقتراح من الصحابى الجليل البراء بن عازب الذي حضر المعركة.

وتكمن أهمية يوم ذى قار إنه رمز للشرف والوفاء العربى، ورفض هانىء بن مسعود الشيباني تسليم حريم النعمان وعتاده إلى كسرى وفاء لوعده له، وإن رمز لإتحاد القبائل العربية في مواجهة عدوان خطير، وكذلك تعاطفت بعض القبائل العربية التي كانت في الجيش الفارسى لعنصرها العربى، فإنسحبت قبيلة إياد من المعركة بالإتفاق مع بنى شيبان.

وفى هذا اليوم ظهر موقف النساء العربيات المشرف القوى، حيث حفزن الرجال بالحفاظ على الأعراض .

❊ ❊ ❊

الفصل الثاني
الله يهدى من يشاء

هم مجموعة ممن ناصبوا الإسلام العداء وآذوا الرسول صلى الله عليه وسلم منذ بزوغ الدعوة الإسلامية، وحاربوا الإسلام في مواقع كثيرة، حتى من الله عليهم بالهداية، فإذا القلوب الغلف، وإذا ظلمات الشرك والضلال، تتفتح على طاقات من النور، ويريد الله أن يشرح صدورهم للإيمان، فتتحول مواقف العداء والإيذاء إلى صفحات ناصعة من نصرة الدين الإسلامى، وصفحات مشرفة في التاريخ الإسلامى كله.

إنها نماذج جليلة تثبت إن القدر يمكن أن يتبدل وإن الشرك يمكن أن يتحول إلى إيمان، والعداء إلى نصرة، والظلمات إلى النور، فلا يفقد الأمل طالما أراد الله لإنسان أن يختم حياته بالإيمان والهداية.

إنها صور لبعض الأشخاص المشهورين بالعداء ومحاربة الدعوة الإسلامية منذ بدايتها، ومواقفهم الرائعة بعد دخولهم الإسلام.

* عكرمة بن أبى جهل .

أبو هو أو جهل اللقب الذي أطلقه عليه الرسول صلى الله عليه وسلم، كأحد أشد المعادين للإسلام وإسمه عمرو بن هشام بن المغيرة وينتهى نسبه إلى كعب بن لؤى، ورث عنه إبنه عكرمة الشرف والسيادة وكراهية الإسلام في بداية الدعوة.

وقف عكرمة مع أبيه أبى جهل وصناديد قريش ضد الدعوة الإسلامية منذ بدايتها وشارك في جميع المعارك والغزوات ضد الإسلام والمسلمين، فقد إشترك في غزوة بدر التي شهدت مقتل أبيه أبى جهل، وضرب عكرمة الصحابى معاذ بن الجموح فقطع قدمه وأطاحها في الهواء وإستطاع عكرمة النجاة بنفسه فاراً إلى مكة وكان عكرمة بعد إسلامه إذا إجتهد في اليمين قال:

- لا والذى نجاني يوم بدر.

وإستمرعكرمة يحارب الإسلام فشارك في غزوة أحد وغيرها من الغزوات مثل غزوة الخندق، حتى يوم فتح مكة وكان من نصيبه أن لقى كتيبة خالد بن الوليد فإشترك معها في قتال خسر فيها معركته الأخيرة وفر هارباً بعد أن أباح الرسول ﷺ دمه.

هرب عكرمة بعد فتح مكة إلى اليمن وخشى أن يصل المسلمون اليه، فركب سفينة تحمله إلى الحبشة، وتعرضت السفينة للغرق فقال ربانها موجها حديثه لركابها:

- إخلصوا فإن إلهتكم لا تغنى عنكم شيئا ها هنا.

فقال عكرمة: إن لم ينجنى في البحر إلا الإخلاص، فما ينجينى في البر غيره، اللّهم لك علي عهد إن إنت عافيتنى مما أنا فيه إن أتى محمداً حتى أضع يدى في يده فأجده عفواً كريماً.

فلما أنقذه الله هو ومن معه في السفينة وعاد إلى البر، سأل كيف الطريق إلى الرسول ﷺ حتى يسامحه وقد أهدر دمه ويدخل في الإسلام.

كانت زوجة عكرمة أم حكيم بنت الحارث بن هاشم قد أسلمت يوم فتح مكة، وإستأمنت الرسول لزوجها، فامنه الرسول صلى الله عليه وسلم، فإنطلقت الزوجة تخبره بعفو الرسول عنه، فعاد معها إلى مكة وإستقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً:

- مرحبا بالراكب المهاجر وأسلم عكرمة بين يدى الرسول، وإنتهت العداوة والبغضاء إلى المحبة والإيثار، وينقلب حال عكرمة من الكفر والشرك والعداء إلى الإيمان والهداية وحب الرسول صلى الله عليه وسلم، فلا يرى عكرمة إلا وهو يقرأ القرآن في صلاته، وقد حسن إسلامه، ويأمرالرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين بألا يسبوا أبا جهل والد عكرمة حتى لا يؤذوا عكرمة.

*** مواقف عكرمة في الإسلام.**

حسن إسلام عكرمة وأبلى بلاء حسناً لنصرة الدين، فقد حارب في جيوش الإسلام التي حاربت المرتدين في حروب الردة، وكان أحد قادة الجيوش التي أرسلها الخليفة الصديق أبو بكرإلى اليمامة، كما ذهب إلى عمان منتصراً على جيوش الردة وكان أحد قادة الإسلام المتميزين في حروب المرتدين.

وبعد حروب الردة، إشترك عكرمة في حرب الروم بالشام، وقاتل في معركة اليرموك قتال الأبطال وقال لمن حوله من المسلمين:

- من يبايعنى على الموت؟.

فبايعه عمه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور ومعهم جمع كبير قاتلوا الروم قتالاً عنيفاً شجاعاً ومن حول عكرمة يقولون له:

- إتق الله في نفسك.

ويخلص عكرمة في القتال بشجاعة حتى ينال الشهادة هو وإبنه عمرو. ووجد بالبطل الشهيد عكرمة بضعا وسبعين طعنة ورمية وضربة في سبيل الله.

والمشهور إنه رضى الله عنه إستشهد في معركة اليرموك ضد الروم، وإن كان هناك روايات تقول إنه إستشهد في غزوة اجنادين عام ١٣ هـ بالشام.

*يزيد بن أبى سفيان رضى الله عنه.

أبوه هو أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية سيد قريش وعدو الإسلام الأشهر حتى فتح مكة، وأخوه الخليفة معاوية بن أبى سفيان المشهور بالحلم والدهاء ومؤسس الدولة الأموية.

وكان يزيد أكبر سناً من معاوية وكنيته أبو خالد ويسمى يزيد الخير. قضى يزيد شبابه حتى فتح مكة على دين قومه المشركين معادياً للإسلام والرسول ﷺ، حتى من الله عليه بالهداية يوم الفتح فحسن إسلامه واشترك مع النبى ﷺ في غزوة حنين وأعطاه الرسول مائة وأربعين أوقية مثلما أعطى أخاه وأباه والمؤلفة قلوبهم.

وفى عهد الصديق أبى بكر رضى الله عنه، كان أول أميراً يصل إلى الشام، كما عقد له الصديق أبو بكر لواءاً في الجيوش الذاهبة إلى العراق، وجعل له نيابة مدينة حمص الشامية، وودعه أبو بكر ماشياً ويزيد راكباً.

كما إشترك يزيد في معركة اليرموك وكان أحد أمراء الجيش الأربعة وهم:

أبو عبيدة بن الجراح، عمرو بن العاص، شرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبي سفيان.

وكان أبو بكر الصديق وعده بولاية دمشق التي دخلها يزيد من باب الجابية بجيشه عنوة، فلما توفى أبو بكر، أنفذ الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعد الصديق وولاه دمشق فكان أول أمير لها.

توفى يزيد بن أبي سفيان رضى الله عنه في طاعون عمواس بالشام مع أبى عبيدة أبن الجراح رضى الله عنه عام ١٨ من الهجرة، وقيل إنه توفى عام ١٩ بعد ما فتح قيسارية لكن المشهور وفاته في طاعون عمواس.

***وحشى الحبشى:**

من أشهر شخصيات التاريخ الإسلامى الأول، وذلك لإرتباط إسمه بقتل سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ.

لم تذكر كتب السير والتاريخ نسبه إلا إنه كان عبداً لجبير بن مطعم بمكة ونسب إلى الحبشة جهة ميلاده أو لسواد لونه فسمى وحشى الحبشى.

وكان وحشى ماهراً مشهوراً بقذف الحربة أحد أسلحة أبناء الحبشة، دعاه سيده جبير بن مطعم للخروج معه يوم أحد لأداء مهمة واحدة وهى قتل حمزة بن عبدالمطلب رضى الله عنه مقابل قتل عم جبير بن مطعم وهو طعيمة بن عدى الذي قتل يوم غزوة بدر الكبرى، وعرض جبير على وحشى عرضا

سخيا بأن ينال عتقه إن هو قتل حمزة، كما خرجت هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان وأم معاوية وبعض نساء أكابر قريش يحفزن على القتال وشجعت هند وحشياً ووعدته بمكافاة مالية إن هو قتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه.

أى إن قتل وحشى لسيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب يساوي العتق من العبودية وجائزة مالية مما كان أكبر حافز لإنجاز مهمته.

أبلى حمزة رضى الله عنه بلاءاً حسناً في أحد فقتل ارطاة بن عبد شرحبيل، وقتل كذلك عثمان بن أبي طلحة، وإنتهز وحشى القتال الدائر بين حمزة رضى الله عنه وبين سباغ بن عبد العزى فقذف وحشى حمزة بالحربة، فوقفت في ثنته حتى خرجت من بين رجليه، ليستشهد سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه، ويفلح وحشى في مهمته، ومثلت هند بنت عتبة بجسد حمزة حيث أخرجت كبده وأمعاءه ولاكته ثم لفظته، وأعطت وحشياً ما لديها من ذهب وجواهر.

ويريد الله تعالى لوحشى الإسلام، فيقدم على الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة وقد وجده قائما على رأسه يشهد شهادة الإسلام فيقول له النبى الكريم:

- أوحشى أنت؟
- بلى يا رسول الله.
- أقعد فحدثنى كيف قتلت حمزة؟

فحدثه وحشى بالذى كان منه يوم أحد، فيعفو عنه الرسول صلى الله عليه وسلم ولكنه أمر ألا يراه أمامه قائلا :

- ويحك غيب عنى وجهك فلا أرينك.

وظل وحشى على ذلك حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.

***وحشى يقتل مسيلمة الكذاب.**

مثلما إرتبط إسم وحشى بمقتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه فقد كفر وحشى عن قتله عم الرسول حمزة بمقتل أحد كبار مدعى النبوة المرتدين وهو مسيلمة الكذاب لعنه الله تعالى، حيث خرج وحشى يوم اليمامة مع جيش المسلمين، وحين إقتحم المسلمون الحصن الذي تحصن به مسيلمة وهى الحديقة، وكان مسيلمة يقاتل ومن حوله رجاله يحتمى بهم، رماه وحشى بحربته رميته الحاذقة فخرجت من كتفيه، ثم وثب عليه أبو دجانة الأنصاري فضربه بالسيف، فإشترك مع وحشى في قتل الكذاب.

وتوفى وحشى بعد حسن إسلامه بحمص.

***سهيل بن عمرو :**

هو سهيل بن عمرو بن عبد شمس، ينتهى نسبه إلى لؤى بن غالب بن فهر العامري القرشي.

عادى الإسلام والمسلمين أشد العداء وكان خطيب قريش وأحد اشهر الفصحاء فيها، وإشترك مع المشركين في كافة أعمال العداء ضد الإسلام

والمسلمين والرسول ﷺ، وتأخر إسلامه حتى يوم فتح مكة ليبدأ صفحة أخرى مشرقة من الإيمان ونصرة الإسلام

*** مواقفه قبل الإسلام:**

إشترك مع جيش المشركين في غزوة بدر الكبرى، وكان أحد الخطباء المحرضين على النفير والقتال قائلاً:

- يا آل غالب! اتاركون أنتم محمداً والصباة ياخذون عيركم؟ من أراد مالاً، فهذا مال، ومن أراد القوة، فهذه القوة.

وأسر سهيل في غزوة بدر وكان خطيباً مفوهاً يؤذى الإسلام والرسول بلسانه فأراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يخلع أسنانه الأمامية فيلدغ في كلامه ولا يستطيع الخطابة، فنهاه الرسول قائلا:

- لا أمثل به فيمثل الله بى ولو كنت نبياً، أنه عسى أن يقوم مقاماً لا تذمه.

ذكره أبن إسحاق في السيرة وقال عنه إبن كثير حديث مرسل بل معضل.

وكان سهيل بن عمرو هو ممثل مشركى قريش في صلح الحديبية، الصلح الذي تم بين الرسول صلى الله عليه وسلم ومشركى مكة الذين رفضوا دخول الرسول والمسلمين لأداء العمرة، وأقسموا ألا يدخلها الرسول عنوة رغم إنه قصد العمرة لا القتال، وكادت تنشب الحرب التي فضل النبى الكريم عليها صلح الحديبية وكان ممثل قريش فيها هو سهيل بن عمرو الذي

رفض في ديباجة الصلح كتابة محمد رسول الله ورفض كتابة بسم الله الرحمن الرحيم، ففضل الرسول إتماما للصلح أن يرضى بكتابة بسمك اللّهم، وكتابة محمد بن عبد الله،

ورفض سهيل دخول المسلمين هذا العام الحرم _ عنوة _ ولكن من العام المقبل، فوافق الرسول على ذلك .

أى أن سهيل بن عمرو كان ممثل المشركين المعادى المكابر، في صلح الحديبية.

*** إسلام سهيل..**

ظل سهيل بن عمرو على شركه وجهاده اللدود ضد الإسلام حتى يوم فتح مكة والذى إشترك مع جيش المشركين في قتال المسلمين بقيادة خالد بن الوليد رضى الله عنه، وعندما إنهزم جيش الشرك والكفر، شرح الله صدر سهيل للإسلام بعد فتح مكة، فبايع الرسول صلى الله عليه وسلم وأسلم وحسن إسلامه، وكان كثير الصلاة والصوم والصدقة، وخرج مع أسرته التي سبقته إلى الإسلام إلى الشام مهاجراً، وكان كثير البكاء كلما سمع القرآن.

*** مواقفه في الإسلام :**

- دفاعه عن الإسلام يوم وفاة الرسول ﷺ.

حسن إسلام سهيل بن عمرو، وإشترك مجاهداً مع جيوش المسلمين في الغزوات، وكان له موقفاً محموداً هاماً يوم وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد كانت وفاة الرسول صدمة كبرى أحدثت هزة عنيفة في نفوس وتصرفات

المسلمين، ما بين غير مصدق لوفاته ﷺ، وما بين بعض العرب والقبائل التي أرتدت وكثر النفاق، فقام سهيل بن عمرو خطيباً في أهل مكة بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو سبحانه أهله، ثم ذكر وفاة الرسول ﷺ قائلاً:

- إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة، فمن رابنا ضربنا عنقه.

و هذا هو المقام المحمود الذي أشار إليه الرسول صلى الله عليه وسلم حين أراد عمر بن الخطاب أن يخلع له أسنانه الأمامية حتى يدلغ في كلامه ويحرمه حسن الخطابة التي يستخدمها ضد الإسلام حينيذ.

و هذا المقام وهذه العبارة التي قالها سهيل بن عمرو لأهل مكة تشبه مقالة الصديق أبى بكر رضى الله عنه في المدينة المنورة يوم وفاة الرسول:

من كان يعبد محمداً، فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حى لا يموت، من رابنا ضربنا عنقه.

وعاش سهيل في الإسلام مجاهداً في سبيل الدعوة بلسانه وماله وأهله وسيفه، حيث شهد معركة اليرموك وكان أميراً على مجموعة من المقاتلين. ويذكر الذهبي في سير إعلام النبلاء إنه نال الشهادة يوم اليرموك، بينما يقول الواقدي والشافعى إنه مات في طاعون عمواس بالشام.

* ثمامة بن أثال الحنفى

من سادات بنى حنفى وملوك اليمامة، أرسل إليه الرسول ﷺ يدعوه وقومه إلى الإسلام في السنة السادسة للهجرة، رفض ثمامة دعوة الرسول صلى الله عليه

وسلم للإسلام، بل أخذته العزة بالإثم وتغلب عليه شيطانه، فأراد قتل النبى والقضاء على الدعوة الإسلامية.

وعندما لم يستطع قتل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، إلتفت إلى أصحاب الرسول فقتل بعضاً منهم، فأهدر الرسول دمه، وأصبح محارباً لله ورسوله، مفسداً في الأرض.

وتروى كتب السيرة إن ثمامة خرج معتمراً (على كفره) وفى الطريق أسرته سرية مسلمة وهى لا تعرف من هو، وجاءوا به إلى النبى وقد ربط في أحد سوارى المسجد النبوي، حتى يرى فيه الرسول أمره.

فأخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه ثمامة بن أثال الحنفى، وأن يحسنوا أسره.

وأمرالرسول بناقته أن تحلب ويشرب منها ثمامة وجمع له طعاماً من أهل بيته، وأقبل الرسول صلى الله عليه وسلم على ثمامة يعرض عليه الإسلام ويقول له:

- أسلم يا ثمامة.

فيقول له ثمامة:

- حسبك يا محمد، إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد الفداء والمال، فسل تعط منه ما تريد.

ويتركه الرسول يومين على هذه الحالة ونفس الرد، حتى أمرالرسول صلى الله عليه وسلم في اليوم الثالث بإطلاق سراحه وفك قيوده، خرج ثمامة من أسره حتى أتى البقيع خارج المسجد فتطهر، ثم عاد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا:

- أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداُ رسول الله.

يا محمد، والله ما كان على ظهر الأرض وجه أبغض إلى من وجهك وقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلى، وما كان دين أبغض إلى من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله إلى، وما كان أبغض إلى من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلى.

و مضى ثمامة إلى عمرته ولكن على الإسلام وعلى شرعة الله ورسوله.

وحين بلغ بطن مكة وقف يلبى بصوت عال، لبيك اللّهم لبيك، وسمعت قريش صوت تلبيته، فاخذوه وأرادوا قتله، ولكن عقلاء قريش منعوهم لإنه سيد قومه، وتحتاجون إلى اليمامة لطعامكم فخلوا سبيله، وكان ثمامة أول من دخل مكة ملبياً في الإسلام .

عاد ثمامة إلى اليمامة بعد أداء العمرة، وحلف لقريش إنه لن يبيع لهم القمح والطعام الذي يحتاجونه، وأمر قومه بذلك فاطاعوه، حتى إشتكت قريش الجوع إلى الرسول، فكتب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ثمامة بفك الحصار الذي ضربه على قريش، ففعل.

ظل ثمامة على حسن الإسلام حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وحدثت ردة الكثير من قبائل العرب، ومنهم بنو حنيفة قوم ثمامة، فقد ظهر فيهم مسيلمة الكذاب مدعيا النبوة، فتصدى ثمامة للكذاب مسيلمة ودعا قومه إلى التمسك بدين الله الحق قائلاً لهم:

- يا بنى حنيفة، إياكم وهذا الأمر المظلم الذي لا نور فيه، يا بنى حنيفة لا يجتمع نبيان في وقت واحد، وإن محمداً رسول الله لا نبى بعده، ولا نبى يشرك معه.

وإنحاز إليه بعض قومه، فقاتل بهم المرتدين، وإنضم إلى جيوش المسلمين التي حاربت الردة.

وعاش ثمامة بعد ذلك مخلصاً عابداً لله على دين الإسلام، حتى توفى راضياً مرضياً.

❊ ❊ ❊

الفصل الثالث
أعظم مشاهد التاريخ الإنسانى

إنه مشهد من أعظم وأجمل المواقف في التاريخ الإنسانى كله، ليس فقط التاريخ الإسلامى.

سيدة مسنة فقدت بصرها وتتحامل على عكازها، فقد شارفت على المائة من عمرها الحافل، وإرتسمت معالم العمر وتجاعيده وأثاره وأمجاده وشرفه على وجهها الشريفة، تتسلل في هذه الظروف الصعبة، لترى وتودع إبنها في ظروفه الصعبة، فقد حوصر حصاراً قاتلاً، ومنع عنه الأنصار والجنود، وبقى وحده كالأسد الجريح الذي شارف على السقوط، وهو الأبن الذي تجاوز السبعين، موقف إنسانى رائع صعب، الوداع ما بين السيدة المسنة، والأبن المحتجز الكبير سناً ومقاماً وشرفاً، موقف يجمع بين المشاعرالإنسانية بين أم وإبنها، وبين التشجيع والتثبيت حتى لو قاده إلى القتل دفاعاً عن المبدأ والشرف حتى لا يتلاعب به جنود بنى أمية .

إننى أعتبره أعظم المشاهد والمواقف الإنسانية على مر العصور.

اما السيدة فهى الشريفة الفاضلة ذات النطاقين بنت الصديق أبى بكر رضى الله عنه أسماء بنت أبى بكر وأخت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، السابقة في الإسلام والجهاد في سبيل نصرة الدعوة منذ بدايتها، التي أمدت آباها الصديق والرسول الكريم ﷺ بالطعام في رحلة الهجرة وشقت نطاقها لتضع

فيه الطعام فعرفت بأشرف صفة " ذات النطاقين " وتزوجت من أحد العشرة المبشرين بالجنة الزبير بن العوام رضى الله عنه، ليكون الأبن البطل الثانى في هذا المشهد عبد الله بن الزبير بن العوام.

أما الأبن فهو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة.

أبوه هو حواري رسول الله ﷺ وأبن عمته صفية بنت عبد المطلب وأحد المبشرين العشرة بالجنة، من السابقين بالإسلام فقد أسلم وله من العمر ست عشرة سنة بمكة.

كان عبد الله بن الزبير أول فرحة للمسلمين في المدينة المنورة بعد الهجرة، فقد كان أول مولود يولد في المدينة المنورة، وكانت فرحة المسلمين به عظيمة، حيث أشاع يهود المدينة إنهم سحروا المسلمين فلا يولد لهم، ومن مظاهرالفرح بمولده وإبطالاً لشائعة اليهود، حمله جده أبوبكر الصديق رضي الله عنه وطاف به المدينة وكبر الصحابة لمولده وفرحواً به فرحاً شديداً.

وعبد الله بن الزبير أحد العبادلة الأربعة المشهورين بالعلم والورع وإلتقى وهم:

عبدالله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وإبن الزبير.

كان أبن الزبير آدم اللون نحيفاً ليس بالطويل، بين عينيه أثر السجود، كثير العبادة، صواماً قواماً، عالماً متفقهاً، وقوراً شديد الخشوع في صلاته، وكان

أحد رواة الحديث الشريف، ويحكى عن خشوعه في الصلاة إنه كان يصلى يوماً فسقطت حية من السقف وأحاطت بطن إبنه هاشم، فصرخ النسوة وإنزعج أهل البيت وإجتمعوا على قتل الحية، وقتلوها وسلم الطفل، كل هذا وعبد الله بن الزبير في الصلاة لم يلتفت ولا درى بما جرى حتى سلم.

وكان شجاعاً مهاباً لا تضعف همته في الحق، فقد قاتل بالسيف وقد تجاوز السبعين، رافضاً التسليم والخضوع لأعداءه.

***بداية القصة.**

بعد الفتنة الكبرى في التاريخ الإسلامى بمقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، والصراع ما بين جناح معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه والإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه، وما نتج عنها من مقتل على بن أبى طالب على يد الخارجى عبد الرحمن بن ملجم، والصلح بين الحسن بن علي رضى الله عنه ومعاوية في عام الجماعة سنة ٤١ هجرية، إستتب الأمر للخليفة معاوية بن أبي سفيان مؤسساً الدولة الأموية، إستمر معاوية رضي الله عنه في الحكم قرابة عشرين عاما، إستقرت فيه أحوال الدولة، عندما أحس بمعاوية بدنو أجله، عين يزيداً ابنه في ولاية العهد ليكون خليفة له وأخذ البيعة له في حياته، رفض بعض كبار الصحابة مثل الحسين بن على وعبد الله بن الزبير رضى الله عنهما البيعة ليزيد بدافع إن هناك من أحق منه، وحفاظا على نظام الحكم الراشد القايم على الشورى والبيعة والإختيار من المسلمين.

ركز يزيد بن معاوية على ضرورة أخذ البيعة من كبار الصحابة الذين رفضوا البيعة له، وعلى رأسهم الحسين بن على رضى الله عنه وعبد الله بن الزبير، وكان والياً على مكة حينها عمرو بن سعيد بن العاص، ووالى المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وعلى البصر عبد الله بن زياد بن أبيه، وأمير الكوفة النعمان بن بشير.

تساهل الوليد بن عتبة بن أبي سفيان في أخذ البيعة قصراً من الحسين وأبن الزبير وذلك لقدرهما ومكانتهما وقال:

- والله ما أحب أن لى ما طلعت الشمس أوغربت عنه من مال الدنيا وملكها وأنى قتلت الحسين، والله إنى لا أظن إمرءاً يحاسب بدم الحسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة.

أيقن عبد الله بن الزبير إنه مطلوب من يزيد بن معاوية، وعقد العزم على الكفاح ورفض أن يكون الحكم وراثة وملكاً، وهو ما هو من الإيمان والثبات والعزيمة، فإختار عدم البيعة والذهاب للإستقرار بمكة ومعه الحسين رضى الله عنه .

كانت مكة أنسب مكان يمكن أن يلجأ إليه أبن الزبير _ رغم وقوعها في سلطة يزيد _ لعدة أسباب رآها أبن الزبير:

* فالعراق أهله غير موثوقين بعد ما جرى للأمام على بن أبى طالب رضى الله عنه، ومصر واليمن كانتا بعيدين عن مسرح الأحداث، ولم يكن له فيهما أنصار ومؤيدون، والشام بالطبع معقل الأمويين ومركز الخلافة.

عزم أبن الزبير ومن معه من بعض الصحابة مثل عبد الله بن صفوان، ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف، والمسور بن مخرمة، على تغيير الواقع بالسيف، لما رأوا من تحول الخلافة الراشدة إلى ملك ووراثة، وما أشيع من أقاويل حول يزيد الخليفة أعطت إنطباعات سيئة للخليفة الأموى في دمشق مقر الخلافة، ويفسر أبن الزبير ثورته وموقفه من ذلك بقوله:

- والله لا أريد إلا الإصلاح وإقامة الحق، ولا ألتمس مالاً ولا إدخاره.

اللّهم إنى قد أحببت لقاءك فأحبب لقائى، وجاهدت فيك عدوك، فأثبنى ثواب المجاهدين.

بعد مقتل الحسين بن على رضى الله عنه على يد جيوش يزيد بن معاوية في كربلاء يوم عاشوراء من سنة احدى وستين هجرية، أحس أبن الزبير بخطورة موقفه، فقد كان الحسين يمثل أحد جناحى المعارضة ضد يزيد، وأيقن أبن الزبير بعد مقتل حفيد رسول الله ﷺ وفصل رأسه على يد جيوش الدولة الأموية، أنها لن تتورع عن فعل أى شىء في سبيل التخلص من معارضيها، ومن عبد الله بن الزبير.

بعد مقتل الحسين رضى الله عنه، حاول يزيد بن معاوية ألا يعقد النزاع مع أبن الزبير، فأرسل إليه رسالة يحذره من الفتنة والسعى فيها، ويذكره بفضائله ومآثره في الإسلام، رفض أبن الزبير دعوة يزيد السلمية، ورفض بيعته،

فأقسم يزيد إنه لا يقبل بيعة أبن الزبير حتى يأتيه مغلولاً، حاول معاوية أبن يزيد، وقد كان شاباً صالحاً ورعاً زاهداً، أن يثن آباه عن هذا القسم، لعلمه برفض أبن الزبير القدوم على يزيد وهو في مغلول، ولكن يزيداً أصرعلى موقفه، وحتى يخفف من موقف الغل على أبن الزبير بعث بعشرة من أشراف الشام، وأعطاهم جامعة من فضة وبرنس خز.

إستأذن أبن الزبير الوفد بضعة أيام يفكر ويستشير، عرض الأمر على والدته السيدة أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما فقالت له: يا بنى، عش كريماً ومت كريماً، ولا تمكن بنى أمية من نفسك، فتلعب بك، فالموت أحسن من هذا.

أجاب أبن الزبير الوفد برفض بيعة يزيد ورفض القدوم إليه وإنه عائذ بالحرم ولقب نفسه " عائذ الله " وكان يسمى العائذ.

رأى يزيد بن معاوية إنه لابد من القيام بعمل عسكرى للقبض أو القضاء على أبن الزبير، ولما حج عمرو بن سعيد بن العاص والى المدينة في تلك السنة، حج عبد الله بن الزبير فلم يصل بصلاة عمرو ولا أفاض إفاضته، مما يعنى المفارقة الصريحة لسلطة الدولة وعدم الإعتراف بها، كما منع أبن الزبير الحارث بن خالد المخزومي من أن يصلى بأهل مكة، وكان خالد نائباً لعمرو بن سعيد على مكة.

لم تحدث معارضة أبن الزبير نجاحات عسكرية ملحوظة، ومرت الأيام ما بين مناوشات ومعارك متعددة منها ما قادها عمرو بن الزبير _ أخو عبد الله بن

الزبير _ ضد أخيه ضمن جيوش يزيد، إلا إنه إنهزم وإقتص عبد الله من أخيه عمرو جراء مظالم الناس فتذكر المصادر التاريخية إن عمرو بن الزبير تعرض لتعذيب شديد من الناس حتى مات جراء الضرب.

وأرسل يزيد بن معاوية بعد ذلك جيشا إستحل المدينة المنورة في معركة الحرة التي إستباح فيها قائده الحصين بن نمير المدينة ثلاثة أيام، تذكر المصادرالتاريخية إنه قتل فيها الرجال وإغتصب النساء، وأخبر أهل المدينة على المبايعة ليزيد على أنهم عبيد، وبعد ذلك قام الحصين بن نمير بنصب المنجنيق على جبل أبى قبيس وهو جبل مطل على الصفا، وإنكشفت مواقع إبن الزبير أمام قوات الحصين بن نمير، ولم يبق لإبن الزبير من مأمن من أحجار المنجنيق إلا اللوذ بالمسجد الحرام، وأثناء المعارك بين أبن الزبير والحصين بن نمير إحترقت الكعبة.

جاء القدربوفاة الخليفة يزيد بن معاوية أثناء ذلك بعد ثلاثة سنوات فقط من الحكم، وصل الحصين بن نمير خبر وفاة الخليفة، فبعث إلى إبن الزبير، وكان يريد مفاوضته في أمر الخلافة

التقى الحصين بن نمير وعبد الله بن الزبير وتحدثا وتجادلا، ودعاه الحصين إلى الخلافة قائلاً: - إن يكن هذا الرجل قد هلك (يقصد يزيداً) فأنت أحق الناس بهذا الأمر، هلم نبايعك ثم أخرج معى إلى الشام، فإن هذا الجند الذي معى هم وجوه أهل الشام وفرسانهم، فوالله لا يختلف عليك إثنان، وتؤمن

الناس، وتهدر هذه الدماء التي كانت بيننا وبينك والتى كانت بيننا وبين أهل الحرة.

فرد أبن الزبير:

- أنا أهدر هذه الدماء؟! أما والله لا أرضى أن أقتل بكل رجل منهم عشرة منكم.

وكان الحصين يكلمه سراً وأبن الزبير يظهر ويقول:

- والله لا أفعل.

فقال له الحصين:

- قبح الله من يعدك بعد هذا داهياً أو أريبا، قد كنت أظن لك رأيا، ألا تراني أكلمك سراً وتكلمنى جهراً، وأدعوك للخلافة وتعدنى للقتل والهلكة.

أدرك عبد الله بن الزبير بعد مغادرة الحصين إنه أضاع فرصة ذهبية برفض الخلافة ورفض الذهاب إلى الشام، لكنه كان متوجساً من موقف الحصين وموقف الأمويين في الشام، فأرسل إلى الحصين وهو يتأهب للعودة بجنده إلى دمشق عاصمة الخلافة يقول:

- أما السير إلى الشام فلست فاعلاً وأكره الخروج من مكة، ولكن بايعوا لى هناك فإنى مؤمنكم وعادل فيكم.

فرد عليه الحصين:

- أرأيت إن لم تقدم بنفسك، ووجدت هناك إناساً كثيراً من أهل هذا البيت (يقصد الأمويين) يطلبونها ويجبهم الناس، فما أنا صانع؟!

* الموقف بعد وفاة يزيد بن معاوية

توفى يزيد في إحدى قرى حمص في ربيع الأول من عام ٦٤ هجرياً وكانت ولايته ثلاث سنين وبضعة أشهر.

تولى الخلافة بعد يزيد إبنه معاوية وكان ورعا تقيا زاهداً مريضاً كما تجمع مصادر السير والتاريخ، وخطب في الناس خطبة بإنه ترك أمرهم فولوا عليكم من يصلح لكم، ثم دخل منزله فلم يخرج حتى مات.

ويختلف المؤرخون في المدة التي حكمها معاوية، ما بين عشرين يوماً وثلاثة شهور، ويرجح بعض المؤرخين مدة الأربعين يوماً، حتى إنه لم يأت بشيء من أعمال الخلافة حتى الصلاة بالناس فإن الضحاك بن قيس هو الذي كان يصلى بالناس ويسير الأمور، حتى وفاة معاوية بن يزيد، وتولى مروان بن الحكم الأمر بالشام بعد مؤتمر الجابية الذي أقر إختيار مروان خليفة وأن يظل الأمر في بنى أمية منتقلاً من الفرع السفياني إلى الفرع المرواني.

كان عبد الله بن الزبير قد بويع له بالخلافة في الحجاز وفى مصر والعراق وبعض بلاد المغرب وجهات الشام، واليمن وخراسان.

وذكر أبن كثير في البداية والنهاية إن بيعة إبن الزبير كانت في عام ٦٤ هجرياً وإستمرت حتى مقتله عام ٧٣ هجريا، ولم يبايع لإبن الزبير بالخلافة سوى دمشق معقل الأمويين وبعض أعمالها من بلاد الأردن حيث بايعوا مروان بن الحكم.

و يجمع الكثير من المؤرخين والفقهاء إن بيعة أبن الزبير بعد موت معاوية بن يزيد بيعة شرعية قامت له في معظم الأمصار وإنتظم له الأمر وأن مروان وإبنه عبد الملك من بعده يعتبرا باغين خارجين على خلافة إبن الزبير الشرعية حتى مقتل إبن الزبير لعدم حصولهما على الإجماع إلا بعد وفاة إبن الزبير.

رغم مبايعة غالبية البلدان الإسلامية لإبن الزبير بالخلافة إلا إن عبد الله بن عمر، ومحمد بن الحنفية إبن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكذلك عبد الله بن عباس لم يبايعوا.

ولكن إبن عباس رضي الله عنه تعاون مع عبد الله بن الزبير في خلافته، حيث عمل قاضياً له في مكة، ولكن العلاقة بينهما توترت مما أدى إلى خروج إبن عباس إلى الطائف.

ولم يجبر إبن الزبير عبد الله بن عمر على البيعة حيث يعلم إنه ليس له مطمع في الخلافة.

* معركة مرج راهط

بعد مؤتمر الجابية الذي أقر ببقاء الخلافة في الأمويين ومبايعة مروان بن الحكم خليفة، خرج مروان على رأس أنصاره الأمويين في محرم سنة ٦٥ هجرياً إلى

مرج راهط لقتال الضحاك بن قيس أحد قواد أبن الزبير الأشداء، إستنجد الضحاك بأمراء حمص وفلسطين وقنسرين، فأمدوه بالجنود، والتقى الضحاك ومروان بمرج راهط، وحينها ظهر في دمشق يزيد بن أبى الغمس الغسانى، وثار بأهلها، معلنين البيعة لمروان وأمدوه بالرجال والسلاح والأموال.

إقتتل الفريقان قتالاً عنيفاً في مرج راهط إستمرعشرين يوماً، إنهزم الضحاك بن قيس وقتل في المعركة، وإنهزم أنصاره، وكذلك هرب والى حمص النعمان بن بشير، وبنتيجة معركة مرج راهط دانت بلاد الشام كلها لمروان بن الحكم، مما تعتبر معركة هامة فاصلة في إستمرار الدولة الأموية بفرعها المرواني بقيادة مروان بن الحكم.

*** الإستيلاء على مصر :**

بعد إستتاب الأمر لمروان في الشام تطلع إلى السيطرة على مصر، التي كانت أسهل موقفا لإنها بعيدة عن المنازعات وقتها التي شهدتها الحجاز والعراق، وكان للأمويين أنصار في مصر، رغم دعوة واليها عبد الرحمن بن جحدم القرشي لإبن الزبير.

خرج مروان بن الحكم بنفسه على رأس جيش صوب مصر، ومعه إبنه عبد العزيز في جيش إلى أيلة _ عند العقبة _ أرسل والى مصر عبد الرحمن بن جحدم بعض الحملات للتصدى لجيوش الأمويين وحفر خندقاً حول الفسطاط، إستطاع مروان الإنتصار ودخل إلى عين شمس ثم الفسطاط في

مطلع جمادى الأولى من العام نفسه، وإنتهى حكم ابن الزبير في مصر، وبايع المصريون مروان إلا نفر منهم أصروا على بيعة إبن الزبير، قضى عليهم مروان، ومكث في الفسطاط شهرين ينظم ويرتب الأمور ويوطد الأمن، ثم عين إبنه عبد العزيز واليها على مصر وعاد إلى الشام.

توفى مروان بن الحكم في رمضان من عام ٦٥ هجرياً، وقبل وفاته حنث بوعده في مؤتمر الجابية بجعل ولاية العهد لعمرو بن سعيد بن العاص وخالد بن يزيد الذي كان صغيراً وتزوج مروان من والدته، وعهد البيعة لإبنيه عبد الملك وعبد العزيز من بعده.

*** الصراع بين إبن الزبير وعبد الملك بن مروان :**

تولى عبد الملك بن مروان الخلافة في رمضان من عام ٦٥ هجريا بعد عهد أبيه إليه، ويعتبر عبد الملك المؤسس الفعلى للدولة الأموية بعد مؤسسها الأول معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه تولى عبد الملك الخلافة في ظروف صعبة وعواصف كثيرة تعصف بالدولة من جهات شتى، منها غارات الروم البيزنطيين من الشمال، ومنافسه العنيد على الخلافة عبد الله بن الزبير من الجنوب والشرق، كان سلطان عبد الملك عندما استلم الحكم يمتد في الشام ومصر، إنشغل عبد الملك في بداية حكمه بتثبيت أركان حكمه قبل أن يقرر خوض حرب التصفية مع إبن الزبير.

أما أبن الزبير، فرغم أن سلطته تشمل مساحة واسعة منها الحجاز واليمن والعراق وخرسان، فقد كانت سلطته غير ثابتة الأركان، فحاكمه على

خراسان عبد الله بن حازم كان شبه مستقلا بإقليمه واليمن تعانى من كثرة تغيير الولاة، والعراق والذى عين أخاه مصعب بن الزبير والياً عليهاً، تعانى من ثورات وخطر الجوارج وحركة المختار الثقفي، ورغم شخصية عبد الله بن الزبير الفقيهة الورعة المتعبدة، إلا إنه كان يفتقد الحنكة والدهاء السياسى، وفن التعامل مع الناس، مع إتهام بالحرص الشديد على أموال الدولة لدرجة إتهامه بالبخل من قبل الزعماء والجند، وكذلك فقد تعاطف العلويين أو الشيعة لإنه حبس محمد بن الحنفية إبن الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه، حتى إستطاع المختار الثقفي أن يخلصه من محبسه بقوة عسكرية، قبل أن يستطيع مصعب بن الزبير من هزيمة المختار وقتل جميع أسرى جنوده.

أما عبد الملك بن مروان فقد اشتهر بالحنكة السياسية، وذكاء خارق، وبراعة بالحروب والتخطيط لها.

قرر عبد الملك إن أولى خطوات القضاء على ابن الزبير هو الإستيلاء على العراق، لأن العراق ووالية مصعب بن الزبيرهو الساعد الأيمن لعبد الله ابن الزبير، وفى ذلك إضعاف كبير لإبن الزبير ويمهد لحربه وحصاره بالحجاز حتى يستسلم.

إلتقى عبد الملك بن مروان مع مصعب بن الزبير عام ٧١ هجرياً في حرب حاسمة بالعراق، كان مصعب يحارب على جبهتين: الخوارج والأمويين، إلتقى جيش مصعب بن الزبير مع جيش عبد الملك بن مروان عند مسكن،

وبدأ عبد الملك يكاتب أمراء أهل العراق ويغريهم بالمال ليفتنهم عن جيش مصعب، وطمع عبد الملك في إغراء مصعب نفسه، فعرض عليه أن يدع دعاءه لأخيه، ويدع عبد الملك دعاءه لنفسه، ويجعل الأمر شورى، فأجابه مصعب:

- السيف بيننا، وأرسل عبد الملك إليه أخاه محمد بن مروان عارضاً عليه الأمان وولاية العراق أبداً ما دام حياً ومليونى درهم، على أن يرجع عن القتال، فرفض مصعب، وإلتحم الجيشان في قتال عنيف إنتهى بمقتل مصعب ومعه إبنه عيسى الذي رفض ترك والده وطلب الأمان من عبد الملك أو الإلتحاق بعمه عبد الله بن الزبير في مكة.

قاتل مصعب ومعه سبعة أشخاص فقط، حتى اثخنته الجراح حتى قتل في معركة " دير الجاثليق " في سنة ٧١ هجريا، ولما جيء برأسه إلى عبد الملك سجد وقال:

- متى تغذو قريش مثلك؟ واروه، فقد كانت والله الحرمة بيننا قديمة، ولكن الملك عقيم.

وأمربدفن إبنه عيسى معه، ورغم العداء السياسى بسبب الحكم بينهما، كان لمصعب منزلة كبيرة عند عبد الملك وكان يصفه بأشد الرجال، وكان مصعب عنده عقيلتا قريش..سكينة بنت الحسين، وعائشة بنت طلحة.

لما بلغ المهلب بن أبى صفرة مقتل مصعب، بايع هو وجنيه عبد الملك، فدانت العراق لعبد الملك ابن مروان وفقد أبن الزبير أخاه ووالیه على العراق وساعده الأيمن القوى الهام مصعب بن الزبير.

*** نهاية إبن الزبير:**

بمقتل مصعب بن الزبير، فقد عبد الله بن الزبير الكثير من قوته وسنده وذراعه العسكرى، فهان أمره على عبد الملك، وتيقن إن الخلاص منه أصبح سهلا، فلما دخل عبد الملك الكوفة، جاءه طاغية بنى أمية الحجاج بن يوسف الثقفي وقد أدرك رغبة عبد الملك فقال له:

- قد رأيت في المنام أنى أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته، فإبعثنى إليه، وولنى قتاله.

فبعثه عبد الملك في ألفين من أهل الشام وكتب أماناً لعبد الله ومن معه إن أطاعوا.

توجه الحجاج في عام ٧٢ هجريا يريد مكة، فنزل بالطائف، وكان يرسل جنده إلى عرفة، ويرسل إبن الزبيرجنده أيضا إلى عرفة، فيدور القتال خارج حدود الحرم، فتنهزم جند إبن الزبير وتعود خيل الحجاج بالظفر، حتى كتب الحجاج إلى عبد الملك يستأذنه في دخول الحرم وحصار إبن الزبير، ويصف له ضعفه وتفرق أصحابه، فكتب عبد الملك إلى طارق بن عمرو يأمره باللحاق بالحجاج، فقدم المدينة ومعه خمسة آلاف من الجنود، وأخرج منها عامل إبن

الزبير، ولحق بالحجاج الذي توجه إلى مكة في ذى القعدة وأحرم للحج، وحج بالناس إلى عرفة ولكنه لم يطف بالكعبة، ولم يسع بين الصفا والمروة لأن إبن الزبير منعه من ذلك، كما لم يحج إبن الزبير وأصحابه لأن الحجاج منعه من الوقوف بعرفة ولم يرموا الجمار.

بعد ذلك طوق الحجاج بجنده الحرم ونصب المنجنيق على جبل أبى قبيس ورمى الكعبة به، فأرسل إليه عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان إتق الله وأكفف هذه الحجارة عن الناس، فإنك في شهر حرام وبلد حرام، وقد قدمت وفود الله من أقطار الأرض للحج، وأن المنجنيق قد منعهم الطواف، فأكفف عن الرمى حتى يقضوا ما يجب عليهم بمكة.

فأبطل الحجاج الرمى حتى طاف الناس وسعوا، ولم يمنعهم ابن الزبير من الطواف والسعى، حتى إذا فرغ الحجيج من مناسكهم نادى منادى الحجاج:

- إنصرفوا إلى بلادكم فإنا نعود بالحجارة على إبن الزبير الملحد!.

أشتد الحصار على إبن الزبير، وإنصرف عنه أنصاره ومنهم إبناه: حمزة وخبيب، وخرج نحو عشرة آلاف إلى الحجاج يطلبون الأمان فيهم، وغلت الأسعار في مكة نتيجة حصار الحجاج، وأصاب الناس مجاعة شديدة، حتى ذبح إبن الزبير فرسه وقسم لحمها بين أصحابه.

وأرسل الحجاج إلى إبن الزبير يخيره بين ثلاث: أما أن يذهب في الأرض حيث شاء، أو يبعثه إلى الشام مقيداً في الحديد، أو يقاتل حتى يقتل.

*** المشهد الإنسانى العظيم:**

فى هذه الظروف شديدة القسوة من الحصار الرهيب، وتفرق الأنصار، وضعف العتاد والسلاح، وتفوق العدو الواضح، والخيارات المرة التي لا تناسب هذا الرجل السبعينى الوقور الخليفة العابد الورع العنيد، دخل الأبن السبعينى على الأم التي فقدت بصرها وشارفت على المائة من عمرها الأم الشريفة ذات النطاقين وذات الأصل والتاريخ الناصح في الإسلام والدعوة.

قال إبن الزبير لأمه:

- يا أماه قد خذلنى الناس حتى ولدى وأهلى ولم يبق معى إلا اليسير، ومن ليس عنده أكثر من ساعة صبر، والقوم يعطوننى ما أردت من الدنيا، فما رأيك؟؟
- أنت أعلم بنفسك ؛ إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو، فإمض له فقد قتل عليه أصحابك، ولا تمكن من رقبتك تلعب بها غلمان بنى أمية، وإن كنت إنما أردت الدنيا، فبئس العبد أنت، أهلكت نفسك ومن قتل معك، وإن قلت: كنت على حق فلما وهن أصحابى ضعفت، فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين، كم خلودك في الدنيا؟ القتل أحسن.
- يا أماه أخاف إن قتلت إن يمثل بى أهل الشام ويصلبونى.
- يا بنىٰ إن الشاة لا تتألم بالسلخ فإمض علىٰ بصيرتك وإستعن بالله.

فقبل أبن الزبير رأس أمه ذات النطاقين وقال:

- هذا رأيى والذى خرجت به دائما إلى يومى هذا، ما ركنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها، وما دعانى إلى الخروج إلا الغضب لله وإن تستحل حرماته، ولكنى أحببت أن أعلم رأيك، فقد زدتنى بصيرة، فانظرى يا أماه فإنى مقتول في يومى هذا، فلا يشتد حزنك وسلمى أمرك لله، فإن إبنك لم يتعهد إيثار منكر ولا عملا بفاحشة، ولم يجر في حكم الله ولم يغدر في أمان، ولم يتعمد ظلم مسلم أو معاهد، ولم يبلغنى ظلم عن عمالى فرضيت به بل أنكرته، ولم يكن شيء أثرعندى من رضا ربى، اللّٰهم لا أقول هذا تزكية لنفسى ولكن أقوله تعزية لأمى حتى تسلو عنى.
- لأرجو أن يكون عزائي فيك جميلا، إن تقدمتنى إحتسبتك، وإن ظفرت سررتك بظفرك، أخرج حتى أنظر إلى ما يصير أمرك.
- جزاك الله خيرا فلا تدعى الدعاء لى.
- لا أدعه لك أبدا فمن قتل على باطل، فقد قتلت على حق، اللّٰهم أرحم طول ذاك القيام في الليل الطويل، وذلك النحيب والظمأ في هواجر مكة والمدينة وبره بأبيه وبى، اللّٰهم قد سلمته لأمرك فيه، ورضيت بما قضيت فأثبنى فيه ثواب الصابرين الشاكرين.

فتناول يديها يقبلهما، فقالت:

- هذا وداع فلا تبعد،

فقال لها:

- جئت مودعاً لإنى أرى هذا آخر أيامى من الدنيا.

فقالت:

- إمض على بصيرتك وإدن منى حتى أودعكم، فدنا منها وعانقها وقبلها.

وكان هذا المشهد الإنسانى الجميل الذي يحمل كل معان الإنسانية والوداع والجلد والصبر والكرامة بين أم مسنة وإبنها المقتول لا محالة قبل مقتل إبن الزبير بعشرة أيام.

بعد هذا اللقاء بين إبن الزبير وأمه السيدة أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما، أخذ إبن الزبير يصول ويجول بين أبواب المسجد الحرام كأنه الليث، فلا يجرؤ أحد على الإقتراب منه، مما أثارغضب الحجاج من تقاعس رجاله في قتاله، وإستغل عسكر الحجاج وقوف إبن الزبير للصلاة عند المقام، فهاجموا صاحب علمه فقتلوه عند باب بنى شيبة، وصار العلم بيد جنود الحجاج، ولما فرغ أبن الزبير من صلاته تقدم فقاتل بدون علم.

وفى ليلة مقتله، حمل جنود الحجاج على أبن الزبير وأصحابه، ورمى إبن الزبير بطعنة أصابته في وجهه، فأرعش لها ودمى وجهه، وصاحت مولاة لآل الزبير:

- وا أمير المؤمنيناه! وكانت رأته حيث هوىٰ وهو يتمثل بهذه الأبيات:

أسماء يا أسماء لا تبكين

لم يبق إلا حسبى ودينى

وصارم لإنت به يمينى

وكان مقتله يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ٧٣ هجريا. وقيل جمادى الآخرة.

وصل الخبر إلى الحجاج فسجد وجاء هو وطارق بن عمرو حتى وقفاً على جثة أبن الزبير،

فقال طارق:

- ما ولدت النساء أذكر من هذا .

فقال الحجاج:

- أتمدح مخالف أمير المؤمنين؟! فقال:
- نعم هو أعذر لنا ولولا هذا لما كان لنا عذر إنا محاصروه منذ سبعة أشهر وهو في غير جند ولا حصن ولا متعة فينتصف منا، بل يفضل علينا.

بعث الحجاج برأس أبن الزبير إلى المدينة، ثم ذهب بها إلى عبد الملك بن مروان، أما جثة أبن الزبير فقد صلبها الحجاج على الثنية اليمنى بالحجون،

فجعل أهل مكة والناس يمرون عليها، حتى مر عليها عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فوقف عليها وقال:

- السلام عليك يا أبا خبيب (ثلاثاً)، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا (ثلاثا)، أما والله إن كنت إلا صواماً قواماً وصولاً للرحم، أما والله لأمة أنت شرها، لأمة سوء (يقصد أهل الشام لإنهم كانوا يسمونه ملحداً منافقاً).

إرتجت مكة بالبكاء لمقتل أبن الزبير هذه القتلة البشعة والنهاية الأليمة، وأرسلت السيدة أسماء إلى الحجاج تقول: قاتلك الله على ماذا صلبته؟؟!.

فقال الحجاج: إستبقت أنا وهو إلى هذه الخشبة، وكانت له.

وطلبت أسماء بنت أبى بكر من الحجاج إن تكفنه وتدفنه، فرفض الحجاج، ووكل بالخشبة من يحرسها، وكتب إلى عبد الملك بن مروان يخبره بصلبه، فكتب يلومه ويقول: الا خليت بينه وبين أمه، فأذن لها الحجاج بدفنه.

أخذت السيدة أسماء جثة إبنها بعدما تقطعت أوصاله، حنطته وكفنته وصلت عليه، وماتت بعده بعشرين يوماً وقد بلغت المئة من العمر.

وإختلفت المصادر في مكان دفن عبد الله بن الزبير فقال مصعب بن عبد الله: حملته أسماء فدفنته بالمدينة في دار صفية بنت حيى، ثم زيدت دار صفية في المسجد النبوي، وبذلك فهو مدفون في المسجد مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأبى بكر جده، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وذكر مسلم في

صحيحه أن عبد الله بن الزبير ألقى في مقابر اليهود (الكامل في التاريخ ج٤: ٢٧، تاريخ دمشق لإبن عساكر ص٥٠٢، البداية والنهاية لإبن كثير ج٨: ٣٤٢، صحيح مسلم ج٧: ١٩١).

وهكذا كانت نهاية قصة عبد الله بن الزبير الذي قيل فيه :

" أهو هو؟ ليمنعن البيت أو ليموتن دونه " رسول الله ﷺ.

" أنت أشبه الناس بأبى بكر " أبوه الزبير بن العوام.

" من كانت لى عليه طاعة فليطع عبد الله بن الزبير " عثمان بن عفان رضي الله عنه.

" أما والله لقد كنت صواماً قواماً وصولا للرحم " عبد الله بن عمر رضى الله عنهما.

" مرحبا بابن عمة رسول الله ﷺ، وأبن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم " معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه.

" شجاع من بيت شجاعة، ولكنه لا علم له بالحرب، ومن معه يخالفه ومن معى ينصح لى "

عبد الملك بن مروان.

" ولدته بقباء، ثم أتيت رسول الله ﷺ، فوضعه في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه، فكان أول ما دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ، ثم حنكه بتمرة، ثم دعا له وبرك عليه " أمه أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما.

الفصل الرابع

معارك شهيرة حاسمة في التاريخ الإسلامى

المعارك الحاسمة هى التي تحسم الحرب لصالح الطرف المنتصر، ويكون لها أثر واضح بارز، كصعود دولة عظمى على حساب الدولة المنهزمة، أو إنحسار توغل دولة على حساب الدولة المنتصرة، أو تغير جذرى في قواعد المنطقة السياسى والجغرافى.

فمعركة اليرموك التي وقعت بين المسلمين والروم في عهد الفاروق عمر بن الخطاب سنة ١٥ هجرياً، إنتصر فيها المسلمون نصراً حاسماً فتح للمسلمين إنتشاره في الشام، وكذلك معركة القادسية التي أتاحت للمسلمين دولة إسلامية في دولة الفرس العظمى، أما معركة عين جالوت بقيادة السلطان المملوكى قطز فقد أوقفت الزحف المغولي المدمر لبلاد العرب والإسلام بعد سقوط الخلافة في بغداد على يد المغول سنة ٦٥٦ هجرياُ، ولا يعلم إلا الله ماذا كان مصير الإسلام والمنطقة العربية لو إنتصر المغول في هذه المعركة.

أما معركة بلاط الشهداء بقيادة عبد الرحمن الغافقي على أعتاب فرنسا، فقد كان يمكن أن تجعل أوروبا كلها مسلمة لو تم النصر للمسلمين في هذه المعركة.

*** معركة القادسية :**

هى واحدة من أعظم وأهم المعارك الإسلامية بعد الحقبة النبوية، فقد مهدت لمعركة " فتح الفتوح " في نهاوند، كانت القادسية في عام ١٥هجرياً بين

المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه وبين الفرس في جيش يضم ستين ألفا وسبعين فيلا، بقيادة رستم فرخزاد.

ظروف وملابسات المعركة :

إستطاع القائد الشهير المثنى بن حارثة أن يحقق إنتصارات عسكرية باهرة على الفرس في الأنبار والبويب وبغداد، في وقت كانت الصراعات والإضطرابات الداخلية تمزق دولة الفرس ولم يكن هناك ولد من نسل كسرى يولوه عليهم، وجد القائدان رستم والفيرزان _ رغم خلافهما -- غلاماً صغيراً إسمه يزدجر من نسل كسرى لينصبوه عليهم بدلا من بوران بنت كسرى رغم أنها كانت حادة الذكاء وعاقلة، وبدأت الفرس في إثارة الإضطرابات وتشجيع من دخل الإسلام بنقضه، وبالفعل نقض أهل السواد والمناطق المفتوحة عهدهم وخلعوا طاعة المسلمين، وتواترت الأنباء بقدوم جيش كبير بقيادة رستم نفسه للقضاء على المسلمين، حينها خرج المثنى بن حارثة من تلك المناطق ونزل على حدود العراق وأرسل للفاروق عمر بن الخطاب يخبره الأمر.

عندما وصلت الأخبار للخليفة الفاروق قال مقولته الشهيرة:

- والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب.

إستدعى عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص الصحابى الجليل مستجاب الدعوة فولاه الجيش وأمره بالسير ومعه عدة جيوش حيث إنضم اليه جيش المثنى بن حارثة.

وتحرك الجيش المسلم حتى وصل إلى معسكر المسلمين على حدود العراق فوجدوا إن البطل العظيم المثنى بن حارثة قد توفى متاثراً بجراح قديمة من معركة الجسر وقد أوصى المسلمين أن يقاتلوا الفرس على الحدود قريبا من أرض العرب فإذا كان النصر أخذهم المسلمون ومن ورائهم وإن كانت الأخرى سهل على المسلمين التراجع إلى بلادهم، فإستحسن سعد هذه النصيحة وعمل بها مترحماً على المثنى. أقام سعد بن أبي وقاص في القادسية شهرا وبعث عيوناً إلى الحيرة لإستطلاع أمر الفرس، وجاءته الأنباء إن قسرى ولى رستم أمر الحرب، فكتب بذلك إلى الفاروق عمر يخبره الأمر ويستشيره.

أرسل الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفداً إلى كسرى لمقابلته، منهم النعمان بن المقرن، والأشعث بن قيس، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن معد يكرب.

عرض الوفد الإسلام ورسالته وتعاليمه والدعوة إلى الدخول فيه على كسرى يزدجر الذي أهان العرب بإستعلاء، وأمر بوقر من تراب ليحملوا عليه أشرف القوم رافضاً الدعوة السلمية للإسلام.

وأصبح الموقف لابد من القتال بين جيش المسلمين والفرس، نزل سعد بجيشه في القادسية في شهر صفر سنة ١٥ هجرياً دون أن يأتيه أحد من الفرس حتى أوشكت مؤن الجيش على النفاد، وغدر أهل السواد بالمسلمين وقطعوا عنهم المؤن والطعام، فأرسل سعد بن أبي وقاص الصحابى عاصم

بن عمرو للحصول على المؤن فدخل غابة وإستاق قطعان ماشية وثيران في يوم عرف بيوم الأباقر، خلافا ليوم الحيتان الذي غنم فيه المسلمون كمية كبيرة من السمك من الصيادين.

كان القائد رستم رجلا حكيما محنكا، يرى أن المسلمين سينتصرون على الفرس لقوة عقيدتهم وشجاعتهم الفائقة في سبيل نصرة الدين، حاول رستم إعفاء نفسه من قيادة الجيوش وجعلها للقائد جالينوس، إلا إن يزدجرد أصر على ذلك.

وكان رستم قد رأى رؤيا متكررة بنزول ملك من السماء أخذا بسلاح الفرس ثم ختمه ودفعه للرسول صلى الله عليه وسلم الذي دفعه للفاروق عمر رضي الله عنه، فتأكد رستم من هزيمة وزوال ملك الفرس.

بدأت المعركة الحامية الوطيس بين المسلمين والفرس في القادسية، كان القتال عنيفا، شهد عدة أيام صعبة منها يوم أرماث ويوم أغواث ويوم عمواس الذي إستطاع فيه المسلمون قتل الفيل القائد سابور الأبيض والفيل الأخر وهو الفيل الأجرب وخرق عيونهما وفرت بقية الفيلة وكان يوماً هاما في مسارالمعركة، تبعه ليلة الهدير ونهاية المعركة حيث إحتدم القتال بين سيوف الجيشين وقتل معظم جيش الفرس وعلى رأسهم القائد الثانى جالينوس وتمت الهزيمة الكاملة للفرس.

وأرسل سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه بشارة النصر إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

*** اثار معركة القادسية.**

كانت الهزيمة الساحقة للفرس وخسارة اكثر من خمسين ألفا من الجنود ومعظم كبار القواد أمثال رستم وجالينوس وشهريار وبهمن من آثار معركة القادسية التي كان يتابعها الروم وكل أنحاء الجزيرة العربية، مما أعطى المسلمين قوة ومهابة كبيرة في النفوس، وإنهارت بعدها إمبراطورية الفرس، ودخل الكثير منهم في الإسلام وتوسعت الدولة الإسلامية وزاد نفوذها وقوتها، مما يعتبر معركة القادسية من أهم وأشهر وأمجد أيام الإسلام والمسلمين.

*** معركة اليرموك**

إنها واحدة من أهم المعارك في التاريخ الإسلامى، إذ إنها كانت المسمار الأخير في نعش الإمبراطورية الرومانية في البلاد العربية، ولقى جيش أقوى الدول حينها هزيمة قاسية وكارثة مدمرة أجبرته على مغادرة بلاد الشام كلها، كما أدرك هرقل قيصر الروم حجم الكارثة التي أحلت به فغادر المنطقة مجبراً وقلبه يقطر دماً ولسانه يقول:

السلام عليك يا سوريا، سلاماً لا لقاء بعده، ونعم البلد أنت للعدو، ولا يدخلك رومى بعد الآن إلا خائفاً.

حدثت معركة اليرموك في عام ١٥ هجرياً بين جيوش المسلمين وجيوش الإمبراطورية الرومانية البيزنطية في الشام، وكانت عدة جيوش المسلمين

حوالى ٤٥ ألفا بقيادة أسد الله خالد بن الوليد رضى الله عنه، بينما قدرت اعداد جيش الروم حوالى ٢٠٠ ألف بقيادة دريجان، وسميت بذلك لإنها وقعت على نهر اليرموك وإنتهت بإنتصار ساحق للمسلمين وهزيمة مذلة للدولة الرومانية وقتل من جيشها ما بين ٣٠ إلى ١٢٠ ألف حسب إختلاف الروايات ما بين الأقل والأعلى.

وقد بدأ التفكير في غزو الدولة الرومانية في الشام بعد انتهاء حروب الردة، حيث أرسل الصديق أبو بكر عدة جيوش بقيادة كل من أبى عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبى سفيان رضى الله عنهم جميعا، ولكن وفاة أبى بكر وتولية الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعاد تنظيم الخطة حيث إستدعى الفاروق خالداً من العراق وأمره بالتوجه إلى الشام وأن يكون قائد الجيوش أمام جيوش الروم، الذين تحالفوا في خمسة جيوش من الشعوب السلافية وعرب الغساسنة والنصارى العرب والجيوش الأوروبية تحت قيادة دريجان وجريجورى، كما شارك تيودورس شقيق القيصر هرقل في المعركة.

و قد أظهر خالد بن الوليد عبقرية عسكرية مذهلة في معركة اليرموك، إذ بدأ بتنظيم قواته التي زادت عن ٤٥ ألف مقاتل، فقسمها إلى كراديس أى كتائب عسكرية بالمصطلح الحالى، وجعل كل كردوس يضم ما بين ٦٠٠ إلى ١٠٠٠مقاتل، كما قسم كل كردوس إلى أجزاء عشرية، فالعريف يقود عشرة

من الرجال، وقائد أو آمر الأعشار يقود ١٠٠ رجل، وقائد الكردوس الذي يقود ١٠٠٠ رجل أو عشرة أمراء الأعشار.

ويجمع المؤرخون على أن خالد بن الوليد هو أول من إستحدث تنظيم الجيوش على هذا النحو، وإنه من العبقريات العسكرية التاريخية.

وقبيل المعركة، تم لقاء بين خالد بن الوليد والقائد الروماني ماهان الذي قال لخالد:

- قد علمنا إنه لم يخرجكم من بلادكم إلا الجهد والجوع، فإن شئتم أعطيت كل واحد منكم عشرة دنانير وكسوة وطعاما، وترجعون إلى بلادكم، وفى العام القادم أبعث إليكم بمثلها.

وعلم خالد بن الوليد رضى الله عنه ما في كلماته من إساءة للمسلمين فرد عليه قائلا:

- إنه لم يخرجنا من بلادنا الجوع كما ذكرت، ولكننا قوم نشرب الدماء، وقد علمنا إنه لا دم أشهىٰ ولا أطيب من دم الروم، فجينا لذلك.

ثم عاد إبن الوليد بجواده إلى صفوف الجيش ورفع اللواء عالياً مؤذناً بالقتال قائلاً:

- الله اكبر، هبى رياح الجنة.

إستمرت المعركة ستة أيام، دار القتال بين الجيشين أربعة أيام حيث كانت خسائر الروم أكثر من خسائر المسلمين، وفى اليوم الخامس رفض خالد بن الوليد طلب الهدنة لمدة ثلاثة أيام التي عرضها الروم بقوله الشهير:

- نحن مستعجلون لإنهاء عملنا هذا.

فى اليوم السادس تحولت إستراتيجية خالد من الدفاع إلى الهجوم وتمكن بعبقريته العسكرية الفذة من شن الهجوم الخاطف المجازف والإستفادة من إمكانيات سرية الفرسان سريعة التنقل التي أعدها من قبل، ليحول الهزيمة الموشكة للمسلمين إلى نصر ساحق مؤزر، كما شاركت نساء المسلمين خلف الجيوش في المعركة، وقتلن عدداً كبيراً من الروم.

وقد أظهر عدد كبير من الصحابة رضوان الله عليهم شجاعة وقيادة عسكرية بارزة وبطولات مجيدة في معركة اليرموك، فبالإضافة إلى القائد خالد بن الوليد، كان من الابطال..عمرو بن العاص، شرحبيل بن حسنة، أبو عبيدة بن الجراح..

وكانت معركة اليرموك من أيام الإسلام المجيدة والهامة، ومن أعظم فتوحات المسلمين، فقد لقى جيش الروم أقوى الجيوش يومئذ هزيمة قاسية، وفقد زهرة رجاله، وترتب على هذه الهزيمة ونصر المسلمين إن إستقر وتمكن المسلمون من بلاد الشام، وإستكملوا فتح مدنه كلها، مما مهد الطريق أمام الفتوحات الإسلامية في الشمال الأفريقى ومصر.

*** معركة بلاط الشهداء.**

أو معركة بواتيه أو تور..والتى تعد من أهم وأخطر المعارك في التاريخ الإسلامى كله، لما ترتب على نتيجتها من آثار، ويكفى لتأكيد ذلك نقل ما قاله المؤرخ الفرنسي في مجلة " ريفى بارلمنتير " الفرنسية: لولا إنتصار جيش شارل مارتل الهمجي على العرب المسلمين في فرنسا لما وقعت بلادنا في ظلمات القرون الوسطى، ولما أصيبت بفظائعها، ولا كابدت المذابح الأهلية التي دفع إليها التعصب الدينى المذهبى، ولظلت أسبانيا تنعم بسماحة الإسلام ونجت من محاكم التفتيش التي عقدها فرديناند والملكة إيزابيلا للمسلمين هناك، ولما تأخر سيرالمدنية ثمانية قرون.

ومن هنا يمكن القول بأنه لولا هزيمة المسلمين في بلاط الشهداء، لربما أصبحت أوروبا كلها مسلمة، ولما رأينا الصراع الإيدولوجى العقائدي بين الشرق المسلم والغرب الصليبي، ولإحتفظت أسبانيا بإسلامها، وإستمر شعاع الحضارة الإسلامية في أوروبا عبر العصور والقرون الوسطى.

وقعت معركة بلاط الشهداء في عام ٧٣٢ ميلادياً بين جيش المسلمين بقيادة القائد عبد الرحمن الغافقي وبين جيوش الفرنجة وجيوش أوروباً الجرارة بقيادة شارل مارتل، وكان عدد جيش المسلمين يقارب المائة الف مقاتل بينما جيوش اوروبا اضعاف هذا العدد، وكانت الشرارة الأولى لوقوع المعركة هى تأديب أهل " أرل " الذين شقوا عصا طاعة المسلمين ونكثوا العهد وإمتنعوا عن دفع الجزية.

كان عبد الرحمن الغافقي والى الأندلس من قبل الاندلسيين، وإستطاع إخماد الثورات القايمة في الأندلس بين العرب والبربر، مما حسن وضع البلاد الأمنى والإقتصادى والثقافى.

فى تلك الأثناء تحالف الدوق أودو دوق اقطانيا مع حاكم إقليم كاتالونيا (برشلونة) المسلم عثمان بن نيساء وعقدا صلحا توقفت بموجبه الفتوحات الإسلامية في بلاد الفرنج، وكان هدف اودو من ذلك أن يأمن شر عدوه الابرز شارل مارتل، حيث سيشكل المسلمون قوة حاجزة بينهما إذا فكر شارل في مهاجمته، ولكن عثمان بن نيساء قام بما لم يكن في الحسبان، فقد إنشق عن الخلافة الأموية وإستقل بإقليم كاتالونيا، فإضطر الغافقي إلى إعلان الحرب عليه بصفته خائناً وكذلك إعتبر الغافقي الدوق أودو حليف الخاين، فجهز جيشه وأخضع كاتالونيا ثم توجه صوب أرض أودو.

جاءت الأنباء إلى الدوق اودو بمصرع صهره وحليفه عثمان بن نيساء وإن إبنته الحسناء سيقت أسيرة إلى دار الخلافة في الشام، أيقن اودو إن عبد الرحمن الغافقي لن يفلته من العقاب، ولم يكذب الغافقي ظن الدوق، فإنطلق بجيوش جرارة صوب جنوب فرنسا في مدينة ارل على نهر الرون، حيث نبذ اهلها عهد المسلمين وإمتنعوا عن دفع الجزية بعد مصرع القائد السمح بن مالك الخولاني في معركة تولوز على نهر الغارون.

فى طريقه عبر المدن الفرنسية، إنتصر الغافقي علىٰ مدينة ارل، ثم أسقط بوردو كبرىٰ المدن الفرنسية آنذاك، إهتزت أوروبا كلها لسقوط نصف

فرنسا الجنوبي في يد جيش الغافقي، وتفتحت أعين الفرنجة علىٰ الخطر الداهم.

وبدأ النفير والإستعداد بين الفرنجة وأقبل الناس من أوروبا كلها للإنضواء تحت لواء " شارل مارتل " للتصدىٰ لجيش المسلمين بقيادة الغافقي.

كان الغافقي قد وصل بجيشه إلى مدينة تور الفرنسية العريقة وأكبر المدن سكاناً وقوة في البنيان، أحاط بها المسلمون، فما لبثت أن سقطت بين أيدى المسلمين على مرأى ومسمع شارل مارتل.

تفاصيل المعركة :

فى أواخر شهر شعبان سنة ١٠٤ هجريا، زحف عبدالرحمن الغافقي بجيشه على مدينة بواتييه، التقى جيش المسلمين مع جيوش أوروبا الجرارة بقيادة شارل مارتل، دارت معركة من أشرس المعارك ومن أهمها في تاريخ الإسلام وأوروبا، حيث كادت أوروبا كلها أن تكون مسلمة لولا هزيمة المسلمين في هذه المعركة التي عرفت بـ " بلاط الشهداء ".

وسميت هذه المعركة بلاط الشهداء لإن المعركة وقعت بالقرب من قصر مهجور، والبلاط في اللغة العربية تعنىٰ الرخام أوالقصر، وهناك رأىٰ آخر أن الطريق المعبد أوالبلاط الذي دارت عليه المعركة من زمن الرومان، وأضيفت كلمة الشهداء لكثرة ما أستشهد من جنود المسلمين، أما

الأوربيون فيطلقون علىٰ المعركة أسم معركة بواتييه لوقوعها بالقرب من مدينة بواتييه، وكذلك يطلقون عليها معركة تور نسبة إلىٰ مدينة تورز التي وقعت بالقرب منها.

من أسباب هزيمة جيش المسلمين في هذه المعركة، الإنهاك والتعب الواضح الذي أاصاب الجيش في أثناء رحلته الطويلة عبر معارك فتح المدن الفرنسية، وتكدس الغنائم والثروات التي غنمها الجيش خلال هذه الإنتصارات والتى إنشغل معظم الجند بحملها وجمعها والحفاظ عليها، بل أن الكثير من جنود المسلمين تراجع من ميدان المعركة لإستخلاص هذه الغنائم من الفرنجة حين أغاروا على معسكرات الغنائم، فإنكشف الجيش وتأثر كثيراً في المعركة، في موقف مشابه لما حدث لجيش المسلمين يوم أحد .

إنتهت المعركة بمصرع القائد البطل عبد الرحمن الغافقي على أرض المعركة على صهوة جواده، حيث أصابه سهم قاتل، فعم المسلمين الذعر وفروا من أرض المعركة في هزيمة قاسية لجيش الغافقي ومصرعه وإنتهى حلم الفتح الإسلامى لأرض الفرنجة ووسط وغرب أوروبا.

وأدت الهزيمة في هذه المعركة إلى توقف الزحف الإسلامى في أوروبا الغربية، ويرى مؤرخو القرن الحالى إن المعركة وضعت الأسس الأولى لبناء الإمبراطورية الشارلكانية _ نسبة إلى شارل مارتل _ وهيمنة الفرنجة لفترة من الزمان وتحديد مستقبل أوروبا الغربية.

*** معركة حطين**

لم تكن معركة حطين أولى معارك الصراع الإسلامى الصليبي في العصور الوسطى، ولكنها كانت أهم هذه المعارك التي وضعت بداية النهاية للصليبين ونفوذهم وطغيانهم على الأراضى الإسلامية، حيث شكلت بداية جديدة لموازين القوى، وحجمت الطمع والصلف الصليبي الغربى تجاه المقدسات والأراضى الإسلامية.

و يكفى قول المؤرخ الإنجليزى " لين بول " عن فتح بيت المقدس:

- " لو لم يكن لصلاح الدين من الأعمال الثابتة إلا أخذه بيت المقدس لكان ذلك كافيا لجعله أعظم الفاتحين في عصره، وأكبرهم بل لعله كان كذلك في أى عصر من العصور ".

وقد بدا الصراع الإسلامى الصليبي الأوروبى منذ دعا البابا أربان الثانى في عام ١٠٩٥ميلاديا، إلى شن حرب مقدسة تحمل الصليب شعاراً لها للسيطرة على الأراضى المقدسة في فلسطين، وأعلن إنها مشيئة الرب وإنها حرب مقدسة ظاهرها الدفاع عن المقدسات المسيحية ضد همجية ووحشية المسلمين الكفرة _ على حسب قوله_ ولم تكن في حقيقتها إلا حرباً إستعمارية عدوانية إتخذت من الشعارات الدينية والمقدسات خلفية لها.

وبعد هذه الدعوى بأربعة أعوام، كان الصليبيون قد إحتلوا بيت المقدس وذبحوا معظم سكانه بعد حصار دام، وأقاموا العديد من الممالك التي

تركزت حول المدن والقلاع المنتشرة في المنطقة، وإستمرت سيطرة الصليبيين على هذه المنطقة والممالك وبيت المقدس حتى معركة حطين بقيادة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي.

وقعت معركة حطين يوم الجمعة ٢٤ من ربيع الآخر لسنة ٥٨٣ هجريا، الموافق ٤ من يوليو لسنة ١١٨٧ ميلاديا، أىٰ بعد سيطرة الصليبيين علىٰ المنطقة أكثر من ثمانين عاما، وكانت قوات المسلمين تبلغ ١٢٠٠٠ جندىٰ نظامىٰ وما يقاربهم من المتطوعين بقيادة صلاح الدين الأيوبي، بينما بلغت قوات الصليبيين ٦٠ ألفا بقيادة ريموند زعيم إمارة طرابلس وغىٰ دىٰ لوزينيان ملك القدس، وبدات شرارة المعركة بسبب الغارة الغادرة اللصوصية التي شنها رينالد دي شاتيلون (أرناط) علىٰ قافلة للمسلمين.

ويذكر إبن كثير في تاريخه، إن عدد قتلى الصليبيين في المعركة بلغ ثلاثين ألفا، ومثلهم أسرى، مما يدل على هزيمة ساحقة للجيوش الصليبية ونصر مؤزر كاسح للناصر صلاح الدين الأيوبي في هذه المعركة التي وقعت في قرية المجاردة بين الناصرة وطبرية.

كانت مناطق من البلاد الإسلامية والقدس قد إحتلت من قبل الصليبيين عام ١٠٩٩ميلاديا، ونصب الفرسان والإقطاعيون الصليبيون أنفسهم أمراء وملوكا على هذه المناطق، وكانت غارة صليبية لصوصية شنها المغامر الوقح

أرناط على قافلة للمسلمين، هى السبب المباشر لهذه المعركة، وكذلك شن أرناط حملة نهب وسلب على قافلة متجهة من القاهرة إلى دمشق خلافات لشروط معاهدة هدنة عقدت عام ١١٨٠ م، وأسر أفرادها ورفض إطلاق سراحهم بل قال مستخفا بالنبى صلى الله عليه وسلم:

- قولوا لمحمدكم يخلصكم.

وبلغ الخبر السلطان الناصر فنذر إن ظفر به أن يقتله.

طالب صلاح الدين ملك القدس بالإفراج الفورى عن الأسرى والتعويض عن الضرر، ومحاسبة الناهب أرناط، لكن الملك لم يشأ أن يمس تابعه القوى أرناط، فكان قرار صلاح الدين إعلان الحرب على المعتدين.

و كما يروى أبن كثير: فلما تمت هذه الوقعة ووضعت الحرب أوزارها، أمرالسلطان بضرب مخيم عظيم، وجلس فيه على سرير المملكة، وعن يمينه أسرى وعن يساره مثلها، وجىء بالأسارى تتهادى بقيودها فأمر بضرب أعناق جماعة من مقدمى الداوية وهى فرقة عسكرية دينية شديدة البأس، ولم يترك منهم أحدا ممن كان الناس يذكر عنه شراً.

وجىء بملوكهم فأجلسهم عن يمينه ويساره حسب مراتبهم، فأجلس ملكهم الكبيرعن يمينه، وأجلس أرناط أمير الكرك وبقيتهم عن شماله، ثم جىء إلى السلطان بشراب مثلوجاُ، فشرب ثم ناول الملك فشرب، ثم ناول أرناط فغضب السلطان وقال له:

- إنما ناولتك ولم أذن لك أن تسقيه، هذا لا عهد له عندى، ثم تحول السلطان إلى خيمة داخل تلك الخيمة الكبيرة وإستدعى أرناط، فلما وقف بين يديه قام إليه بالسيف ودعاه إلى الإسلام فإمتنع، فقال له السلطان:
- نعم أنا أنوب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإنتصار لإمته، ثم قتله وأرسل برأسه إلى الملوك وهم في الخيمة وقال:
- إن هذا تعرض لسب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم أمر السلطان صلاح الدين بقتل جميع من كان من الأسرى من الداوية والإسبتارية وأراح المسلمين من هذين الجنسين الخبيثين.

* نتائج معركة حطين

كانت هزيمة الصليبيين في معركة حطين هزيمة كارثية، فقدوا فيها زهرة جنودهم، وقتل وأسرعدد كبير، وأصبح بيت المقدس في متناول المسلمين، وكانت بداية النهاية للصليبيين في المنطقة، ورغم أن حطين لم تحطم ممالك الفرنج نهائياً إلا أنها أكدت إن قوة الغرب الفرنجي يمكن أن تقهر، وأسست بداية جديدة لموازين القوى، وإنهت مرحلة هزيمة المسلمين وتفوق الصليبيين.

ويقال إنه عندما وصلت أنباء الهزيمة الساحقة للصليبيين في حطين إلى البابا أوربان الثالث خر ميتاً من وقع المفاجأة الحزينة، مما دعا خليفته البابا

جريجورى الثامن إلى إصدار أمر باباوى يعزو فيه سبب الهزيمة إلى آثام المسيحيين وذنوبهم، ويدعو إلى شن حملة صليبية ثالثة.

وكان صلاح الدين الأيوبي قد فتح بيت المقدس في الثانى من أيلول مايو قبل صدور الأمر الباباوى، ولكن أنباء سقوط القدس لم تكن وصلت بعد، أما الحملة الصليبية الثالثة فلم تنطلق حتى عام ١١٨٩ ميلاديا وكان على رأسها الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد، وملك فرنسا فيليب الثانى والملك الألماني فريدريك الأول، وأطلق على هذه الحملة " حملة الملوك " وقد إمتدت حتى عام ١١٩٢ م. ولم تحقق إلا الفشل وإنتهت بما عرف " صلح الرملة " الذي أعاد للمسلمين السيطرة على جميع بلاد الشام وسمح للصليبيين بالإحتفاظ بشريط ساحلي يمتد من صور إلى يافا لفترة من الزمن فقط.

*** تحرير بيت المقدس:**

تطلعت الأنظار بعد ذلك إلى القدس، فأعد صلاح الدين عدته وبدأ في حصارها في رجب من عام ١١٨٧م، وكان داخل القدس حوالى ستين ألف مقاتل صليبي يرون الموت أهون عليهم من تسليمه، وخلال الحصار جرت صدامات عديدة شديدة، حاول المسلمون إقتحامها وإقتتل الفريقان قتالا شديداً، وكل فريق يرى ذلك واجباً ديناً مقدساً عنده، وطلب الفرنجة الأمان مقابل تسليم المدينة، رفض السلطان الناصر في البداية حنقاً لما فعله المقاتلون الصليبيون بالمسلمين عندما أحتلوها قبل تسعين عاما، وعادوا وطلبوا الأمان مهددين إن لم يعطوه أن يقتلوا أسرى المسلمين وهم ألوف، ثم يقتلون

نساءهم وأطفالهم من النصارى ويحرقون ويخربون الأقصى والصخرة، ثم يقاتلون قتال المستميت حتى النهاية، شاور صلاح الدين الأيوبي أصحابه وقواده فإتفقوا على الموافقة على الأمان مقابل تسليم المدينة، فامنهم صلاح الدين.

تلاعب الصليبيون في البداية في محاولات الصلح والتسليم، فاصر صلاح الدين على إستمرار الحصار والحرب، وفى الآخر أرسل البابا مفاتيح القدس إلى صلاح الدين منهياً مرحلة الصراع الإسلامى الصليبى على القدس، والمنطقة.

* معركة عين جالوت

حقق المسلمون في معركة عين جالوت أحد المستحيلات في ذلك العصر، حيث كان التتار أكبر قوة عسكرية باطشة دمرت كل ما دخلته من بلاد ولم يستطع أحد الوقف أمام قوة وبطش التتار الساحق، بما فيها حاضرة وعاصمة الخلافة الإسلامية وقتها بغداد وسقوطها وسقوط الخلافة العباسية بعد إكتساح التتارلها في عام ٦٥٦ هجريا، ورسالة هولاكو لقطز التي أكد فيها هولاكو إستحالة التصدى للتتار أوهزيمتهم، لكن قطز جيش مصر حققوا أكبر هزيمة للتتار وأنقذوا العالم الإسلامى من الدمار والفناء الذي حل بالعديد من البلدان الإسلامية.

وقعت معركة عين جالوت في رمضان من عام٦٥٨ هجرياً الموافق للتاسع من سبتمبر عام ١٢٦٠ م. أى بعد سقوط بغداد عاصمة الخلافة ودمارها بعامين.

كانت القوات المسلمة بقيادة السلطان المظفر سيف الدين قطز، وقوات المغول تبلغ عشرين ألف جندى بقيادة كتبغا النصرانى النسطورى.

وتعد معركة عين جالوت من أهم المعارك الفاصلة في التاريخ الإسلامى، حيث طمع المغول في غزو مصر وإستسلامها بعد سقوط جميع البلاد التي مروا عليها بما فيها بغداد، وكانت هذه المعركة هى الهزيمة الوحيدة للتتار المغول منذ عهد جنكيز خان، مما أدى إلى إنحسار نفوذ المغول في بلاد الشام ثم خروجهم منها نهائياً وإيقاف المد المغولي الكاسح للبلدان الإسلامية منذ سقوط بغداد عاصمة الخلافة بين إيديهم، وقد أدت المعركة أيضا إلى تعزيز مكانة دولة المماليك الناشئة كأقوى دولة إسلامية في ذلك الوقت وظلت دولة المماليك أقوى دولة إسلامية حتى قامت الدولة العثمانية.

وقد وقعت المعركة في منطقة تسمى عين جالوت عند مدينة بيسان ونابلس بفلسطين.

ورث هولاكوعن جده جنكيز خان حكم البلدان الإسلامية التي غزاها، وذلك بعد وفاة أبيه تولوى الذي هلك سريعا، ويعتبر هولاكو أسوأ أعداء الإسلام وأكثرهم كرهاً له، فقد كان لا يطيق أن يرى مسلماً أو يسمع كلمة منه، وكان هولاكو هو الزعيم الفعلى لكل شعوب التتار رغم إن الخان الأعظم كان إبن عمه " كيوك"، وقد ساعدت زوجة هولاكو الصليبية المتعصبة ضد الإسلام " ظفر خاتون " في زيادة حنق وكراهية هولاكو

للإسلام والمسلمين، فإرتكب أكبر مجزرة عرفها التاريخ بحق سكان بغداد في سقوط الخلافة العباسية، إذ قتل ما يقارب المليونين من أهلها، وألقى بكتب مكتبة بغداد العامرة في النهر.

لم يكن هدف هولاكو هو غزو وإحتلال البلاد الإسلامية فقط، بل كان يهدف إلى إفناء الأمة الإسلامية بأسرها والقضاء على كل موحد مسلم، لذلك فقد وجه جيوشه صوب الشام ومصر بقيادة أمهر قادة التتار" كتبغا نوين ".

فى هذه الأثناء كانت مصر في فترة حرجة غير مستقرة سياسياً وعسكرياً، إذ توفى السلطان الصالح نجم الدين الأيوبي أثناء معركة جنوده في المنصورة أمام جيوش لويس التاسع الذي تم أسره في دار أبن لقمان، وبعد فترة من التوتر من تولى شجرة الدر الحكم ثم عز الدين ايبك الذي بدات معه دولة المماليك، وبعد مقتل ايبك تولى سيف الدين قطز الحكم في ظروف حبلى بالتوتر والحروب وخطر التتار الداهم على مصر والشام، حيث خرج هولاكو بنفسه عام ١٢٩٥ ميلادياً من عاصمة دولته مراغة في أذربيجان متجهاً إلى الشام، يقود طلائعه القائد كتبغا وأستولى المغول على المدن التي مر عليها من مدن الشام منها ديار بكر، وماردين وحران، والرها والبيرة وحاصر حلب حتى إستسلمت وأباحها هولاكو لجنوده سبعة أيام فعاثوا فيها فساداً ونشروا الخراب في كل مكان منها، وعندما وصلت هذه الأنباء إلى دمشق، أثر أهلها الشام إلى بلاده تاركاً مهمة إكمال الغزو لقائده كتبغا الذي دخل دمشق في أول آذار من عام ١٢٦٠ ميلادياً. الإستسلام بعد فرار حاكمها الناصر يوسف

الأيوبي وسارعوا إلى تسليم المدينة، وغادر هولاكو بعد إستيلاء التتار على الشام أصبحوا على حدود مصر، جمع قطز العلماء ومنهم الإمام العز بن عبد السلام، وأبن العديم، وإستشارهم في كيفية التصدى للتتار، وكان المنصور إبن عز الدين أيبك وهو السلطان طفلاً صغيراً لا يقدرعلى شيء ولما ظهر عجزه، دفع قطز لأن يخلع المنصور متولياً حكم مصر ومهمة صد التتار.

كان هولاكو قد بعث رسلاً برسالة إلى قطز تحمل التهديد والوعيد وإنهم قوة لا تقهر، ويحذره من مصير البلدان التي غزوها، ويهدده أما الإستسلام أو نارالحرب وشرارها.

أمام هذا التهديد والخطر الداهم، عقد السلطان قطز مجلساً من كبار الأمراء والقادة، إتفقوا على الإستعداد للحرب، ورد على هولاكو بقتل رسله مما يعنى إعلان الحرب والتحدى للمغول المعتدين.

قرر قطز أن يخرج للقاء التتار خارج الديار المصرية، وإنضم إلى الجيش الكثير من المتطوعين المجاهدين، وكان كتبغا قد إمتلأ غروراً من كثرة إنتصاراته على المسلمين، فأصر على لقاء جيش قطز دون إنتظار إمدادات من هولاكو الذي كان قد عاد إلى بلاده بعد غزو حلب.

حاول التتار عبر كتبغا النصرانى التحالف مع مملكة بيت المقدس الصليبية، ولكن البابا منع وحرم التحالف مع التتار، وإتجه قطز إلى مسالمة ومهادنة الصليبيين في عكا وطلب منهم الوقوف على الحياد من الحرب وإستاذنهم

بعبور جيشه أراضيهم، وأقسم لهم إنه متى تبعه فارس منهم يريد أذى المسلمين إلا رجع وقاتلهم قبل لقاء التتار، أدرك الصليبيون إن التتار سوف يكتسحونهم كما إكتسحوا غيرهم من البلاد ، فبروا بوعدهم ولم يغدروا بالمعسكر الإسلامى من الخلف. كان اللقاء الحاسم عند عين جالوت قرب مدينة بيسان في فلسطين، حيث قام قطز بتقسيم جيشه لمقدمة بقيادة بيبرس وبقية الجيش يختبىء بين التلال والوديان المجاورة كقوات دعم وتنفيذ هجوم مضاد.

وفى يوم كيوم بدر إذ كان يوم الجمعة ٢٥ من رمضان سنة ٦٥٨ هجريا، وقع الصدام الدامى بين المسلمين والتتار، بدات المعركة بتفوق مؤقت للتتار، فما كان من سيف الدين قطز إلا أن صاح بأعلى صوته " وا إسلاماه " وخلع خوذته معلناً عن نفسه منطلقاً كالسهم مخترقاً صفوف التتار حاملاً لواء المسلمين، وقتل جواده في هذا الهجوم، فظل يقاتل مترجلا حتى جاءوه بفرس، وقامت مقدمة الجيش بقيادة بيبرس بهجوم سريع وتظاهرت بالإنهزام فإستدرجت خيالة التتار إلى الكمين وقام قطز بهجوم مضاد كاسح ومعه قوات الخيالة الكامنة في الوديان.

إنتهت المعركة بإنتصار كاسح للمسلمين وهزيمة مذلة للتتار وقتل القائد المغرور كتبغا على يد رجل يدعى العرينان مبارزة، وأظهر المماليك شجاعة نادرة وحماسة لنصرة الدين، وإنتهت أسطورة التتار الذين لا يقهرون، وأعتبر المؤرخون هزيمة المغول في هذه المعركة بداية النهاية للإمبراطورية المغولية،

وحفظت مصر بقيادة المماليك وسيف الدين قطز الإسلام والدول الإسلامية من خطر الفناء على يد المغول، وأنقذت حضارة الإسلام من الضياع والإنهيار، كما حمت الغرب الأوروبي من شر توغل وخطر المغول لو سقطت مصر في أيديهم.

❊ ❊ ❊

الفصل الخامس
إغتيالات شهيرة في التاريخ الإسلامى

الإغتيال أو التخلص من الإنسان بالقتل من مظاهر وأفعال النفس البشرية على مر العصور، منذ قتل قابيل أخاه هابيل طمعاً وحسداً، فعرفت البشرية القتل والإغتيال لأسباب عديدة، منها الإغتيال للعداء السياسى أو التخلص من الخصوم، ومنها الإغتيال بهدف السرقة والإستيلاء على المال، ومنها الدفاع والإنتقام للشرف، وفى التاريخ الاسلامى إغتيالات شهيرة طالت أشخاصا مرموقين المكانة والمنصب، وكانت معظمها سياسية، وتنوع الإغتيال السياسى في الإسلام ما بين أعداء غير مسلمين، أوعلى يد مسلمين يدفعهم التعصب الأحمق المذهبى أو العرقى أو الصراع على السلطة.

وسيعرض هذا الفصل نماذجاً هامة لأشهر الإغتيالات في التاريخ الإسلامى، مع التركيز على واقعة الإغتيال وأسبابه، دون الإسهاب في سيرة الشخص المغتال والتى قد لا يسعها عدة كتب.

* عمر بن الخطاب

هو الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الخليفة الثانى في الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد كبار الصحابة ورجالات الإسلام المعدودين، سيرة وأفعال وصفات الفاروق _ بالطبع _ لا يسعها عشرات الكتب، وساركز هنا على حادثة الإغتيال ودوافعه.

هو عمر بن الخطاب بن نفيل، أول من لقب بأمير المؤمنين، من بنى عدى أحد أفخاذ قريش، وهو إبن عم زيد بن عمر بن نفيل أحد أشهر الاحناف الموحدين قبل الإسلام، ووالدة الفاروق هى حنتمة بنت هشام بن المغيرة، وكنية عمر بن الخطاب أبو حفص، ولقبه الفاروق يقال إن من أطلقه عليه هم المسيحيون السريان المقيمون في ايلياء أوالقدس، وتعنى في لغتهم المخلص أو المنقذ، وذلك لتسامحه وعدله عندما تسلم مفاتيح القدس بعد فتحها وإنتصار المسلمين على الروم البيزنطيين في معركة اليرموك.

ولد الفاروق بعد عام الفيل ويصغر الرسول صلى الله عليه وسلم بثلاث عشر سنة، ونشأ عمر في قريش، وإمتاز بقوة الشخصية، وتعلم القراءة والمصارعة والفروسية، وكان طويلا جسيماً، أبيض الوجه مهيبا تعلوه حمرة، وقد أسلم في السنة الخامسة او السادسة للدعوة، وتحققت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يعز الإسلام بأحد العمرين: إبن الخطاب أو عمروابن هشام، ومنذ إسلام عمر بن الخطاب ظهر الإسلام وقوى بعد أن كان متخفياً، وكان إسلام إبن الخطاب مكسباً كبيراً للدعوة ثم الإسلام فيما بعد.

تولى الفاروق عمر بن الخطاب الخلافة بعد وفاة الصديق أبى بكر رضى الله عنه، ودامت خلافته عشر سنوات، والفاروق هو أنجح وأعدل حاكم عرفه الإسلام وأكثرهم حنكة سياسية وإدارية وحفاظا على مال المسلمين، وكان عادلا صارما حتى على نفسه متقشفا، وعمر بن الخطاب أول من دون الدواوين، وأول من أنشأ بيت المال، وأول من إخذ الهجرة تقويماً للتاريخ

الهجري الإسلامى، وأول من وسع مسجد الرسول ﷺ وأضاء المساجد، وأول من أنشأ المدن الجديدة كالبصرة والكوفة، وأول من جلد في الخمر ثمانين جلدة، وأول من جمع الناس على صلاة التراويح في رمضان، وأول من إتخذ القضاة، وفى عهده فتحت فارس والعراق ومصر ومصر والشام. وإشتهر عمر رضى الله عنه بمحاسبة الولاة والأمراء ومراقبتهم ومنعهم من البذخ والترف، وكان هو مثالاً للتواضع والزهد، فكان يطوف بالأسواق في جبة صوف مرقوعة بعضها بأدم معه الدرة التي يؤدب بها الناس، ويمر بالنوى والحصى فيلتقطه في منازل الناس لينتفعوا به.

قتل الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد أبى لؤلوة المجوسي، وكان غلاماً للمغيرة إبن شعبة وإسمه فيروز الديلمي، وكان عمر خلال خلافته لا يسمح لسبيء بالغ في دخول المدينة فكتب المغيرة وهو في الكوفة إلى عمر كتاباً يذكر فيه أن له غلاماً عنده أعمالا كثيرة فيها منفعة للناس مثل الحدادة والنجارة والنقاشة، وانه يستأذن عمر أن يدخل المدينة، وفرض عليه المغيرة كل شهر مائة درهم، جاء الغلام شاكيا للخليفة بنفسه من شدة الخراج عليه، فقال له عمر:

- ما خراجك بكثير.

فإنصرف المجوسي ساخطا متوعدا، وبعد عدة أيام إستدعاه عمر بن الخطاب فقال له:

- ألم تخبر إنك تقول لو أشاء لصنعت رحى تطحن بالريح؟

فنظر الغلام إلى عمر قائلا:

- -لأصنعن لك رحى يتحدث الناس بها، فلما إنصرف، قال عمر لأصحابه:
- أوعدني العبد أنفا.

وفى أحد الأيام، وفى صلاة الفجر، وكان أبو لؤلوة قد صنع خنجراً ذا رأسين وشحذه بالسم، دخل المجوسي في خفية من الناس إلى المسجد وسدد إلى الفاروق عمر ست طعنات، أحداها تحت سرته وكانت القاتلة، وطفق أبو لؤلوة يطعن كل من أقترب منه أو حاول إمساكه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا، توفى منهم سبعة، وقيل ستة، فألقى أحد الناس عليه ثوباً، ولما رأى إنه تقيد وأمسك به، قتل أبو لؤلوة نفسه بخنجره.

و صلى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بالناس بأقصر سورتين، وجىء لعمر بلبن شربه فخرج من جرحه، وسأل عمر عمن قتله، فقيل له أبو لؤلوة المجوسي، فقال:

- الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعى الإسلام، وطلب من إبنه أن يستأذن السيدة عائشة في أن يدفن مع صاحبيه..الرسول صلى الله عليه وسلم، وأبى بكر الصديق رضي الله عنه، وأختار ستة من الصحابة وهم من بقى من العشرة المبشرين بالجنة ليختاروا منهم خليفة في ثلاثة أيام.

و يجمع معظم المؤرخين إن الدافع وراء قتل أبى لؤلوة المجوسي للفاروق عمر هو الإنتقام من فتح المسلمين لفارس وتهدم الإمبراطورية الفارسية في عهده، وإسترقاق أبناء فارس من الرجال والنساء والأطفال، مما ملأ صدر وقلب المجوسي بالحقد والرغبة في الإنتقام، ويروى إن أبا لؤلوة كان يمسح على رؤوس أطفال الفرس والذين جلبوا إلى المدينة ويقول باكياً:

- أحرق عمر كبدى ، أحرق الله كبده.

و كان هناك الكثير من الحاقدين على الفاروق عمر منهم الهرمزان أحد قادة الفرس والذى أعلن إسلامه، وكذلك جفينة المسيحى، وتذكر الروايات إن عبد الرحمن بن عوف عندما رأى الخنجر الذي قتل به عمر، قال:

- رأيت هذا بالأمس مع الهرمزان وجفينة، فقلت لهما ماذا تصنعان بهذا؟؟

فقالا:

- نقطع به اللحم.

وهناك رجل يدعى كعب الأحبار كان من يهود اليمن قدم إلى المدينة في خلافة عمر معلناً إسلامه، وقد قدم إلى عمر قبل مقتله بثلاثة أيام فقال له:

- يا أمير المؤمنين، أعهد، فانك ميت في ثلاثة أيام.

فقال له عمر:

- وما يدريك؟، فقال كعب:

- أجده في التوراة، فقال عمر:
- الله، إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة!، فقال كعب:
- لا ولكن أجد حليتك وصفتك وإنك قد فنى أجلك.

وتستبعد هذه الرواية لإنها تظهر الفاروق في صورة ساذجة تصدق ما يقال لها، إلا إنه يمكن القول إن أطرافا عدة أضمرت الشر والإنتقام من الخليفة العادل الفاتح المسلم عمر بن الخطاب، ويظل سر إغتيال الفاروق ودوافعه غامضا لا يعرف منه إلا فاعله المجوسي أبو لؤلوة.

* على بن أبى طالب

هو على بن أبى طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، إبن عم الرسول ﷺ، وزوج إبنته السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها، ووالد الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، ويكنى بأبى الحسن وأبى تراب، هو أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول من أسلم من الصبية، شهدا بدراً والمشاهد كلها، وروى عن النبى الحديث، وحفظ القرآن الكريم وله مصحف معروف بإسم مصحف على، كان عظيم العلم والفقه والقضاء، وقمة البلاغة وفصاحة اللسان، حليماً شجاعاً فارساً، ووصف أمه كان أصلعاً، عظيم البطن، عريض المنكبين، له لحية بيضاء تملأ صدره.

ومناقب ومآثر وصفات الامام على رضى الله عنه أكبر من أن يضمها كتاب أوعشرات الكتب، وروى الكثير من أحاديث الرسول ﷺ في فضل على ومكانته وعلمه وسابقته في الإسلام.

أما الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين، فقد عرفوا قدره ومكانته، مثل قول إبن عباس عن عمر بن الخطاب : على أقضانا وأبى بن كعب أقرؤنا.

وقول عبد الله بن مسعود: كنا نتحدث إن أقضى أهل المدينة على .

و يقول سعيد بن المسيب: لم يكن أحد من الصحابة يقول: سلونى، إلا على.

و يقول إبن المسيب كذلك عن عمر بن الخطاب قوله:

- أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن.

بعد وفاة الرسول ﷺ، وملابسات الخلافة من اختيار أبى بكر الصديق خليفة رسول الله، ثم عهد أبى بكر لعمر بن الخطاب بالخلافة بعده، وإختيار عمر ست من المبشرين بالجنة لإختيار أحدهم خليفة بعد تعرضه للطعنة القاتلة من أبى لؤلوة المجوسي، وتم الأمر لعثمان بن عفان رضى الله عنه، يمكن القول إن الخلافة في كل مرة تكون قاب قوسين أو أدنى من الإمام على، ولكن الظروف والملابسات والقدر كانت تفر من بين يديه، ولم يكن عليا رضى الله عنه طامعا في سلطة، محباً لمال أو ملك، إنما كان ينظر للخلافة من زاوية المسؤلية تجاه الدين والناس، وإنها لابد أن تذهب للمستحق المستوفى لشروطها شرعاً وعلماً وشخصية.

بعد أحداث الفتنة الكبرى في التاريخ الإسلامى بمقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، أقبل الناس يبايعون علياً رضى الله عنه بالخلافة، فقد جاء دوره وزمانه وإستحقاقه للخلافة بعد ثلاث مرات كانت قريبة منه، وفضل

هو عدم إثارة الفتنة بقبول الخلفاء السابقين له، ولم ينكر لهم فضلا أو سابقة إسلام، وكان المعين والقاضى والمستشار، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول:

- لولا علىٰ لهلك عمر، كانت الظروف بعد مقتل عثمان رضىٰ الله عنه مختلفة، فقد تغيرت الناس، وزاد الخلاف وإتسعت دائرة الفتن وتكالبت المصالح، وقل الورع، في هذه الظروف الصعبة من فتنة مقتل الخليفة، وثورة الناس في بعض الأمصار، وتفشىٰ العصبيات وسالت الدماء، ورث علىٰ بن أبىٰ طالب تركة ثقيلة مشحونة بالمخاطر، وكانت خلافته محفوفة بالأشواك مبسوطة بالآلآم، وما كاد علىٰ رضىٰ الله عنه يخرج من محنة ومصيبة حتىٰ تضربه أكبر منها، فما كاد الأمر يتم له حتىٰ إنشق إثنان من كبار الصحابة هما الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله رضىٰ الله عنهما، معهما أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وخرجوا إلىٰ البصرة مطالبين بدم عثمان محملين الامام مسؤلية حماية وعدم القصاص من القتلة، وعندما تيقن الإمام علىٰ من عزمهم علىٰ الحرب، خرج إليهم في جيش من المهاجرين والأنصار والتقىٰ الجيشان بالبصرة في موقعة الجمل التي فيها قتل الصحابيان الزبير وطلحة، وأحسن الإمام علىٰ إلىٰ أم المؤمنين عائشة وردها مكرمة مؤمنة بصحبة أخيها محمد بن أبىٰ بكر الصديق.

بعد إنقضاء موقعة الجمل، أراد الإمام على أن يعزل معاوية بن أبي سفيان عن ولاية الشام، ونصحه الصحابة المقربون أن يتمهل حتى إستتباب الأمر ومبايعة كافة الناس، إلا إن على رضى الله عنه أصر وأبى أن يتأخر ولو يوماً واحداً، وكما يروى " إبن طباطبا " في " تاريخ الدول الاسلامية " إن معاوية عندما بلغه ما هم به على، أشار عليه عمرو بن العاص أن يلوح لأهل الشام بقميص عثمان وأصابع زوجته نائلة التي قطعت أثناء الذود عن زوجها الخليفة المقتول، أخرج معاوية القميص والأصابع لأهل الشام وبكى وإستبكى الناس مطالباً بالأخذ بالثار من قتلة عثمان، محملا على رضى الله عنه المسؤلية ومطالباً بتسليم القتلة، إلتقى الفريقان في موقعة صفين بين جيش الإمام على رضى الله عنه ومناصروه، ومعاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه وأهل الشام.

فجرت بينهما مناوشات وقتال، وكاد جيش على بن أبى طالب أن ينتصر، ولاحت بشائر النصر وإنهزام معسكر معاوية وأهل الشام، فأشار عمرو بن العاص الداهية على معاوية برفع المصاحف على أسنة الرماح وتحكيم القرآن بين الفريقين، رأى أكثر الجند ذلك فمالوا إلى الموادعة وفترت عزيمتهم وإنخدعوا بخدعة رفع المصاحف، ورفضوا الإنصياع للإمام على الذي حذرهم بأنها خدعة ويجب الإستمرار في القتال، وهددوه بقولهم:

- " يا على أجب إلى كتاب الله عز وجل، فوالله إن لم تفعل لنحملنك كارهاً إلى معاوية، أو لنفعلن بك كما فعلنا بإبن عثمان ".

نزل على بن أبى طالب رضى الله عنه كارهاً ومغلوباً على مطالبهم بالتحكيم، وجرت واقعة التحكيم الشهيرة في التاريخ الإسلامى، وفر النصر من بين جند جيش على، ونجح معاوية بالفلات بل بالدعوة له خليفة، وعندما إنكشف أمر الخدعة، عاد الذين أجبروا الإمام على على التحكيم وطالبوا الإمام على بأن يتبرأ من التحكيم لانهم اخطاؤا وأن يقر على نفسه بالكفر والاستغفار لتحكيمه الرجال، وإنه لا حكم الا لله، كما قالوا، فإذا هو فعل ذلك، عادوا وقاتلوا معه.

بالطبع رفض الإمام الحكم على نفسه بالكفر كما زعم هؤلاء الذين إنشقوا عليه وعرفوا بالخوارج أو الشرارة لإنهم إدعوا إنهم إشتروا الآخرة بانفسهم، أو الحرورية وهو أسم مكان نزلوا به، وإضطر الإمام على وجيشه إلى التوجه لقتال هؤلاء الخوارج المنشقين في معركة عرفت بالنهروان، قتل فيها الكثير من هؤلاء الخوارج.

بعد معركة النهروان، كان الموقف على الساحة الإسلامية يعج بالإنقسام والفتن والتشرزم.

فمعاوية وجيشه في الشام يشكل جبهة معارضة للإمام على، وفرقة الخوارج ظهرت وحاربت الإمام والصحابة، وكثرت الفتن والقتل، وساد عدم الإستقرار وإجتماع الأمة كسابق عهدها.

إجتمع ثلاثة رجال من الخوارج الموتورين بقتلاهم في النهروان، وذكروا أمر المسلمين وإنقسامهم، وترحموا على قتلى النهروان، وإتفقوا فيما بينهم إنهم لو

قتلوا أئمة الضلال _ على حسب إعتقادهم_ لأرحنا منهم العباد والبلاد، فقال عبد الرحمن بن ملجم:

- أنا أكفيكم علياً.

و قال الثانى:

- وأنا أكفيكم معاوية.

و تكفل الثالث بعمرو بن العاص.

و تعاهدوا فيما بينهم وإتفقوا على ليلة واحدة في شهر رمضان للتنفيذ.

دخل عبد الرحمن بن ملجم الكوفة فكتم أمره عن أصحابه.

و جاء في " مقاتل الطالبيين" لأبى فرج الأصفهانى:

- إنه في أحد الأيام زار إبن ملجم رجلاً من أصحابه، فصادف في طريقه إمراة من بنات الخوارج كانت آية في الجمال، وإسمها قطام بنت الأخضر من تيم الرباب، فشغف بها إبن ملجم وملكت فؤاده.

فقالت له قطام:

- ما الذي تسمى لى من الصداق؟

فقال لها:

- أحكمى ما بدا لك.

فقالت:

- أنا محتكمة عليك بثلاثة آلالف درهم ووصيف وخادم وقتل على بن أبى طالب، فقال لها:

- لك جميع ما طلبت، فأما قتل على فأنى لى ذلك؟، فقالت:
- تلتمس غرته فإن أنت قتلته شفيت نفسى وهناك العيش معى، وإن قتلت فما عند الله خير لك من الدنيا .

وقع إبن ملجم في شهوة خداع ومطلب المراة بقتل الإمام على رضى الله عنه.

وفى الليلة الموعودة، إستطاع إبن ملجم توجيه ضربة قاتلة للإمام على رضى الله عنه في جامع الكوفة في صلاة الفجر في ليلة من ليال رمضان يقال إنها السابع عشر، لحق الناس بإبن ملجم فامسكوه، وحملوا الإمام وهو ينزف بغزارة من جرحه المسموم الذي أكد الأطباء إن ليس للشفاء من حيلة، فقالوا له:

- إعهد عهدك يا أمير المؤمنين فإنك مفارق قريبا.

بعد ليلتين من الألم، فاضت روح أمير المؤمنين، وبعد أن ورى الثرى، أخرج عبد الرحمن بن ملجم من محبسه ليقتل، إجتمع الخلق وجاؤوه بالنفط والنار، وقال بعضهم:

- دعونا نعذب قاتل الإمام حتى نشفى أنفسنا منه، جاءوا بالسيف فقطعوا به يديه ثم رجليه، فلم يجزع إبن ملجم، ولم يتاوه، ثم أخذوا بمسمار محمى فكحلوا به عينيه حتى سالتا على خديه، فلم يجزع او يتألم، ثم أخرجوا لسانه ليقطعوه، فجزع وإنتفض!

فقالوا له:

- قطعنا يديك ورجليك وسملنا عينيك ولم تجزع، فلما صرنا إلى لسانك جزعت!،

فقال إبن ملجم:

- إنى أكره أن أكون في الدنيا فواقاً لا أذكر الله!.

نجح إبن ملجم _ للأسف الشديد _ في قتل الإمام على رضى الله عنه، أما صاحباه. فإحدهما أصاب معاوية بن أبي سفيان في اليته إصابة غير مميتة.و أما صاحب عمرو بن العاص، فقد أصاب خارجة بن حذافة الذي صلى بالناس بدلا من عمرو بن العاص ليلة الحادثة لمرض أصاب عمرو بن العاص في بطنه ومنعه من الخروج للصلاة لتكتب له الحياة، وعندما أدرك القاتل إنه قتل خارجة بدلا من عمرو بن العاص قال:

- أردت عمراً وأراد الله خارجة..فذهبت مثلا.

***أبو مسلم الخراسانى**

حانت ساعة الرحيل لمقابلة الخليفة أبى جعفر المنصور، دخل عليه ناصحه الأمين " أبو إسحاق" مودعاً وناصحاً:

- إن كان لابد من ذهابك إلى الخليفة فإفعل شيئا واحداً ولا تفعل غيره، إذا دخلت عليه فإقتله.

صاح أبو مسلم في ذهول:

- أأقتل الخليفة؟؟!!!

رد أبو إسحاق:

- والله إن لم تفعل فلن تخرج من عنده على قدميك.

وصدق حدس أبى اسحاق، فقد قتل الخليفة ابو جعفر المنصور ثانى الخلفاء العباسيين ومؤسس الدولة العباسية الحقيقى وبانى مدينة بغداد، قتل أبا مسلم الخراسانى المؤسس العسكرى الفعلى للدولة العباسية، وأهم أسباب نجاح الدعوة العباسية بحروبه ضد الدولة الأموية .

أبو مسلم الخراسانى الفتى الشاب الطموح الذي خاض عشرات المعارك وقتل عشرات الالاف من البشر في سبيل قيام الدولة العباسية (يقال في بعض المصادر إنه قتل ٦٠٠ ألف شخص)، الذي كانت عقيدته إنه لا يوجد عقاب سوى السيف ولا يوجد سجن غير القبر.

ها هو الآن متوجساً من نفس المصير الذي آذاق به خصومه، ومن من؟؟ من الخليفة الذي يعرف فضل الخراسانى في قيام دولته.

و نعود إلى القصة من البداية..بداية النهاية، أو الصعود إلى الهاوية، أو من الملك إلى الإغتيال.

إختلف في إسم ونسب أبى مسلم الخراسانى، فقيل هو عبد الرحمن بن مسلم وقيل عبد الرحمن بن عثمان، وقيل عثمان بن مسلم، وحكى إن الإمام إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس صاحب الدعوة العباسية قال له يوماً:

- غير إسمك فما يتم لنا الأمر حتى تغير إسمك، فسمى نفسه عبد الرحمن.

كما إختلف في نسبه، فقيل إنه من العرب، وقيل إنه من العجم، وقيل إنه من الأكراد، والغالب انه من موالى الفرس، واصطنع له نسبا عربيا لتحقيق طموحه.

و يذكر إبن خلكان في " وفيات الأعيان " إن أبا مسلم الخراسانى كان قصيراً أسمر اللون، أحور العين، فصيحاً بالعربية والفارسية، حلو المنطق، عالماً بالأمور، لا يُر ضاحكاً ولا مازحاً إلا في وقته، تأتيه الفتوحات العظام فلا يظهر فرحاً، وتنزل به الحوادث الفادحة فلا يظهر حزناً، ولا يأت النساء إلا مرة واحدة في السنة، شديد الغيرة، حتى إنه ذبح البرذون الذي ركبته إمرأته يوم زفت إليه وأحرق سرجه كى لا يركبه ذكر بعدها!.

نجح أبو مسلم الشاب الطموح في الإتصال بنقباء الدعوة العباسية وهى في مهدها، وإستمالته شعارات الدعوة، وأعجب نقباء الدعوة بعقله وكلامه وحماسه وعلمه، فعرفوه على الإمام إبراهيم صاحب الدعوة الذي إنبهر بشخصية الخراسانى معلقاً عليه:

- هذا معضلة من العضل، وإتخذه إبراهيم الإمام مقيمًا عنده في سفره وحضره، يخدمه ويعينه، وبعد فترة من الزمن، سأل النقباء الإمام رجلاً يتولىٰ أمر خراسان، فأشارعليهم بابىٰ مسلم وكان

عمره حينها ثمانية عشر عامـًا، ورغم صغر سنه، أظهر الخراسانىٰ علو عزيمة وطموح قدرة فايقة، فإستطاع سحب بساط خراسان من تحت سيطرة بنىٰ أمية لتصبح مركز للدعوة العباسية، ولم تفلح إستغاثة واليها القوىٰ الكفء نصر بت سيار للخليفة مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين، أن ينقذ خراسان من السقوط في أيدىٰ العباسيين.

بعد أن صفت خراسان لأبى مسلم، رفع رايات العباسيين فوقها، وزالت سيطرة الدولة الأموية عليها، سير أبو مسلم الخراسانى جيوشاً عظيمة العدد إلى العراق، فهزمت الأمويين وإنهت حكمهم، وظهر أبو العباس السفاح في العراق وبويع له بالخلافة، وإستتب الأمر للعباسيين بعد هزيمة الجيش الأموى بقيادة مروان بن محمد في موقعة الزاب الكبرى الفاصلة وهروب مروان بن محمد وفلول عسكره إلى الشام ثم إلى مصر، حتى لاحقه العباسيون في صعيد مصر وقتلوه وقطعوا رأسه فإنقطعت معها دولة بنى أمية في الشرق.

كان طريق أبى مسلم محفوفاً بالصعاب، مفروشاً بالدماء التي آسالها في سبيل قيام وإستقرار الدولة العباسية، وكان أبو مسلم نفسه متعطشاً للدماء حتى قيل إنه قتل في دولته ستمائة الف صبراً، أى يربط الإنسان ويقتل.

و يذكر الذهبى أبا مسلم الخراسانى بإعجاب مشيداً بإنجازاته رغم ميله للدماء فيقول عنه في " سير أعلام النبلاء ":

- " الأمير صاحب الدعوة وهازم جيوش الدولة الأموية والقائم بإنشاء الدولة العباسية، كان من أكبر الملوك في الإسلام، ذا شأن عجيب ونبأ غريب من رجل يذهب على حمار باكاف من الشام حتى يدخل خراسان ثم يملكها بعد تسعة أعوام ويعود بكتايب أمثال الجبال ويقلب الدولة ويقيم دولة أخرى ".

وهذه شهادة حقيقية من الذهبى لأبى مسلم الذي يُقر التاريخ بإنه صاحب الفضل الأول في قيام الدولة العباسية، وكان أبو العباس السفاح يعرف هذا الفضل لأبى مسلم، فكان كثير التقدير له، أما أبو جعفر أخو السفاح والخليفة القادم فكان مرتاباً متوجساً من الخراسانى، حذراً من طموحاته، فكان المنصور لا يكف عن إغراء أخيه السفاح بقتل الخراسانى قائلاً:

- " أطعنى وإقتل أبا مسلم فوالله إن في رأسه لغدرة ".

لما آلت الخلافة إلى أبى جعفر المنصور، لم تبرح فكرة قتل الخراسانى من فكره، لكنه كان يتحين الوقت المناسب، محاولاً الإستفادة من أبى مسلم إلى آخر لحظة، وعندما ثار عبد الله بن على عم الخليفة المنصور عليه في الشام ودعا إلى نفسه بالخلافة، سير المنصور إليه أبا مسلم الخراسانى وهو يدرك إن ليس لها إلا أبو مسلم، وإن جيش عمه عبد الله به الكثير من الخراسيين الذين من الممكن أن ينحازوا وينضموا إلى أبى مسلم .

دارت الحرب بين جيش عبد الله بن على وجيش أبى مسلم قرابة ستة أشهر، ودان النصر في النهاية إلى أبى مسلم وفر عبد الله بن على إلى البصرة إلى أن قبض عليه المنصور وقتله بعدها.

تخلص أبو جعفر المنصور من أحد أبرز منافسيه على الخلافة وهو عمه عبد الله بن على، فإنصرف تفكيره إلى التخلص من منافسه الأقوى الذي يخشى طموحه وهو أبو مسلم الخراسانى، ناسياً كل ما فعله من أجل الدولة العباسية ومن أجل المنصور شخصيا بتخليصه من عمه عبدالله، فقد تركز في فكر ووجدان المنصور الخشية من طموح وغدر الخراسانى وإن له لغدرة.

فهل كان الخليفة المنصور على حق في ظنه في الخراسانى؟؟؟.

يذكر الطبرى في تاريخ الأمم والملوك:

- إن أبا مسلم قد عظم أمره وإزداد طغيانه بعد أن هزم عم الخليفة عبدالله بن علي، للدرجة التي كان يلوى شدقه بعد أن يقرأ كتب أبى جعفر ساخراً، وكان أبو جعفر لا يكف عن تذكير أبى مسلم بطريقة غير مباشرة دوماً بإنه لا يزال عاملاً له مهما كبر أمره وبعد صيته، فبعد ان وضعت الحرب أوزارها، أرسل إليه أبو جعفر برسول ليحصى عليه الغنائم

فغضب أبو مسلم أشد الغضب وقال:

- أؤتمن على الأرواح ولا أؤتمن على الأموال؟!،

فعزم على الرحيل إلى خراسان حيث عزوته وعشيرته، فخاف المنصور أن يشق عصا الطاعة متى إعتصم بأهله الخراسانيين، فحاول المنصور أن يستبقيه ويحول بينه وبين خراسان وكتب إليه بأنه ولاه مصر والشام، فهى خير لك من خراسان، فأرسل إلى مصر من أحببت وأقم بالشام فتكون بقرب أمير المؤمنين .

فطن أبو مسلم الخراسانى إلى غرض المنصور فقال متعجباً:

- يولينى الشام ومصر، وخراسان لى!،

أكمل طريقه إلى خراسان، والمنصور بدهائه يستعمل نظرية العصا والجزرة، يمنيه حيناً ويهدده حيناً، وكتب المنصور لرسوله أن يأت أبا مسلم ويكلمه بلين الكلام وإنه مضمر له كل خير فإن آيست منه فقل له إن الخليفة أقسم لو خاض البحر لخاضه خلفه ولو إقتحم النار لإقتحمها حتى يقتله.

خاف الخراسانى من عواقب تهديد المنصور ومنى النفس بحسن نوايا الخليفة تجاهه، ولو إنه أكمل الطريق إلى خراسان لكان في مأمن من شر المنصور بين أهله وجنده، لكنه أقبل على المنصور في المدائن، فأحسن الخليفة إستقباله، وقام إليه مرحبا مهللاً، وفى الغد دخل أبو مسلم على المنصور الذي بدأ بملاطفته في الكلام، ثم بدأ المنصور يعاتبه ويعدد له أفعاله، ثم صار يصيح ويصرخ في وجهه ويقول:

- أنت فعلت وفعلت، وأبو مسلم يرد بقوله:

- ما يقال لى هذا بعد سعيى وإجتهادى وما كان منى، فيقول له المنصور:
- يل إبن الخبيثة إنما فعلت ذلك بجدنا وحظنا، ولو كان مكانك أمة سوداء لعملت عملك، ألست الكاتب الذي تبدأ بنفسك قبلى؟ ألست الكاتب تخطب عمتى آسيا وتزعم إنك إبن سليط بن عبد الله بن عباس؟ لقد إرتقيت مرتقىء صعباً،

فإنكب أبو مسلم على يد أبى جعفر يقبلها ويعتذر إليه، فقال له المنصور:

- قتلنى الله إن لم إقتلك،

وصفق لرجال أوقفهم وراء الستار وهو يصيح:

- إضربوا قطع الله أيديكم،

وكان أبو مسلم يستصرخه قائلاً:

- إستبقنى يا أمير المؤمنين لعدوك، فأجابه:
- لا أبقانى الله أبدا إذا، وأى عدو أعدى منك؟.

بعد مقتل الخراسانى جاء إبن أخيه عيسى بن موسى معاتباً المنصور على قتله الخراسانى لأفعاله لصالح العباسيين، فقال له المنصور:

- وهل كان لكم ملك في حياته؟!.

و يمكن رغم شكوك المنصور تجاه نوايا وعظم مكانة الخراسانى وخوف المنصور منه، إلا إن ذلك لا يمنع إن المنصور كان شخصية تمتاز بالمكر

والخيانة والتخلص من أقرب معاونيه في سبيل الحفاظ على كرسى الخلافة، فقد تخلص من عمه عبد الله بن على الذي أبلى بلاء حسناً في سبيل إقامة الدولة العباسية، وها هو يتخلص من رجل الدولة العباسية الأول...أبو مسلم الخراسانى.

و تصدق مقولة عبد الملك بن مروان:

- إن هذا الملك...عقيم.

*** جعفر البرمكى**

لا تزال نكبة البرامكة مع هارون الرشيد تمثل لغزاً غامضاً في التاريخ الإسلامى، مهما تعددت التفسيرات وأسباب المؤرخين، فما يزال سر إنقلاب الرشيد على أسرة البرامكة التي وصلت إلى أعلى مرتبة في الحكم والسلطة والغنى والنفوذ، بل ورضا الرشيد نفسه عليها فترة طويلة وتقريبها لدرجة إن يحيى البرمكى والد جعفر هو مؤدب ومربى هارون الرشيد الذي كان لا يناديه إلا بقوله:

" يا آبتى"،

وكان ليحيى البرمكى دور مؤثر في إستخلاف الرشيد بعد وفاة أخيه الهادى، وقد حفظ الرشيد له هذا الجميل عندما تولى الخلافة حيث إستوزر يحيى وأعطاه خاتم الخلافة يفعل ما يريد وما يرى، ورفع من شأن ولدى يحيى: الأفضل وجعفر،

كان الأفضل أخا للرشيد من الرضاعة وولاه بلاد المشرق فأدارها على أحسن ما يجب، وإلى الأفضل بن يحيى البرمكى هذا يعود الفضل في نزع فتيل ثورة كادت تهدد عرش الرشيد بواسطة يحيى بن عبد الله بن الحسن (العلوى وشيعته) دون إراقة دماء، أما جعفر بن يحيى فقد ولاه الرشيد بلاد المغرب وكان مقرباً جداً للرشيد الذي كان لا يستطيع مفارقته ومفارقة جلوسه معه وإستبقاه في بغداد ليأنس به، وبذلك فقد حظيت أسرة البرامكة زمن الرشيد بمكانة رفيعة ما نالها أحد من قبلهم ولا بعدهم، فقد تقلدوا المناصب والإمارة، وكانت لهم الأموال الوفيرة والأراضى والمزارع والدور العظيمة، كانوا بحق ملوكاً بلا تيجان وسلاطين بلا صولجان.

أسرة البرامكة من العوائل الفارسية العريقة ذات النسب الأصيل والمركز المجيد، ويرجح أن كلمة برمك تشير إلى لقب دينى وراثى وليس إسم علم، فهى مكونة من شقين:

بر وتعنى حارساً أو سادناً، ومك وتعنى البيت المقدس أو الأصيل، أى إن هذه الأسرة تولت منصباً دينياً رفيعاً في فارس ما قبل الإسلام يحتمل في الديانة الزرادشتية، ويرجح المؤرخ الشهير إبن خلكان في " وفيات الأعيان " إن أصول الأسرة يرجع إلى قبيلة زرزارة الكردية والتى ينتمى إليها أيضا إبن خلكان، ويطلق إبن خلكان نفسه على البرامكة إنهم كانوا فرساً مجوساً، وإعتنقت أسرة البرامكة الإسلام على المذهب الشيعى زمن الفتوحات الإسلامية أيام الدولة الأموية، وأسلم الجد الأعلى برمك زمن الخليفة

الأموى عبد الملك بن مروان وعالج الأمير مسلمة بن عبد الملك من مرض ألم به، وعند قيام الدعوة العباسية في خراسان كان خالد بن برمك أحد أبرز الدعاة المجتهدين للدعوة السرية ضد الدولة الأموية، وبعد نجاح الدعوة العباسية وقيام الدولة وإستخلاف أبى العباس السفاح، خلع الوزارة على خالد بن برمك بعد إغتيال أبى سلمة الخلال وزير السفاح، وأستمر خالد وزيراً طيلة خلافة السفاح وجزء من خلافة المهدى إلى أن توفى في عام ١٦٣ هجرياً.

ورث خالداً إبنه يحيى والد جعفر والأفضل والذى إستوزره الرشيد وقربه وكان مؤدباً ومعلماً له بعهد من الخليفة المهدى والد الرشيد.

و بعد هذه المكانة الرفيعة لأسرة البرامكة ومكانة يحيى وجعفر والأفضل من الرشيد، إنقلب الحال ونكل بهم الرشيد في نكبة لا تزال أسبابها غامضة متعددة التفاسير، فقد صادر أموالهم وجردهم من مناصبهم، ثم قتل صديقه المقرب جعفر بن يحيى البرمكى.

إختلف المؤرخون في تفسيرهم لنكبة البرامكة على يد الرشيد.

فمنهم من يرجع ذلك لإن الأموال كانت تتدفق عليهم بلا إنقطاع وأنهم وصلوا إلى مكانة أعلى وأغنى من الخلافة نفسها، وكانوا يعيشون في ترف لا مثيل له، وقيل إن جدران وأرضيات وسقوف قصورهم الفارهة كانت مطلية بالذهب والفضة، وإن جعفر كان له قصر في كل إقليم وكور وقرية، وإن هذا

الثراء الفاحش آثار نقمة الرشيد عليهم فنكبهم، إلا إن هذا التفسير لا يبدو كافياً مقنعاً لتغير الرشيد عليهم، فقد كان الرشيد في ترف لا يقل عن البرامكة، وكان في إستطاعته سلب أموالهم دون هذه النكبة الشنيعة.

وهناك من يفسر نكبة البرامكة لإتهامهم بالزندقة سراً وتغليب عقيدتهم المجوسية في نفوسهم، حيث يشاع إن يحيى البرمكى قد فتح الأبواب لأهل الملل والنحل للمناظرات الفلسفية في الكون والإمامة والآلهيات والأديان، وإن البرامكة جلبوا إلى البيت الحرام مبخرة عظيمة رائعة الجمال والسعة، واقترحوا على الرشيد إن يزينوا الكعبة بها، ويضعوها داخلها ليطيبوا بها الكعبة، وإن هذه محمدة ستكتب للدولة العباسية وللرشيد، وأقنعوا الرشيد بالفعل ووضعت المبخرة في الكعبة وطاف بها الناس، وفطن أحد وزراء الرشيد للأمر وأبلغ الرشيد إن أصول البرامكة مجوسية، وأنهم بهذا الصنيع جعلوا الناس يطوفون حول النار لا الكعبة.

و كانت تهمة الزندقة منتشرة منذ أيام المهدى والد الرشيد وكانت ذريعة للتخلص من الخصوم السياسيين، ولو صحت هذه التهمة لهم لوجدها الرشيد حجة وفرصة لإثارة الرأى العام كله ضدهم في نكبة علنية مسببة.

ومن تفسيرات نكبة البرامكة على يد الرشيد، علاقة إخته العباسة وجعفر البرمكى، كانت العباسة شغوفة بالشعر والأدب وكان الرشيد يحب مجالستها كثيراً كما يحب مجالسة جعفر، وقيل إنه لكى يجمع بينهما في مجلس واحد عقد

بينهما زواجاً صورياً، ونبه جعفراً بعدم الإتصال الشرعى بها، إلا إن الإتصال كزوجين حدث بين جعفر والعباسة من وراء الرشيد، وحملت منه وولدت غلاما، أرسلته إلى مكة خوفاً من بطش أخيها الخليفة، وبعد أن دب خلاف بين العباسة وإحدى وصيفاتها قامت الجارية بتسريب الخبر للرشيد، فلما حج الرشيد في هذه السنة، أرسل في طلب الصبى، وجىء به وأخبرته الحاضنة بصحة القصة، ويصعب إثبات أو نفى هذه القصة إلا إنها من الأسباب المروية لدى بعض المؤرخين.

ومن الأسباب المذكورة والتى قد تحمل وجاهة نوعاً ما، إن الرشيد تكشف له محاولات ومساع للبرامكة لنقل الخلافة سراً إلى الفرع العلوى لميولهم الشيعية، وحجة هذا التفسير إن الأفضل بن يحيى البرمكى قد أطلق سراح يحيى بن عبد الله بن الحسن في ثورته ضد الدولة العباسية، دون الرجوع إلى الرشيد.

ويضاف إلى كل هذه التفسيرات، حقد وكراهية الفضل بن الربيع أحد رجالات الرشيد لهم لمنزلتهم ومكانتهم من الرشيد ومن الحكم، فكان دائم السعى والوشاية وتقليب الرشيد عليهم، ويذكر له إستبدادهم وطمعهم بالسلطة، وأموالهم الطائلة .

*** مقتل جعفر**

يحكى إبن طباطبا في " تاريخ الدولة الإسلامية " قصة مقتل جعفر البرمكى:

عاد الرشيد من الحج، فسار إلى الأنبار في السفن من الحيرة، وكان جعفر في رحلة صيد، يشرب تارة ويلهو تارة، فلما أطل المساء، دعا الرشيد سيافه مسرور وقال له:

- " إذهب فجئنى برأس جعفر ولا تراجعنى ".

دخل مسرور على جعفر وعنده نديمه يغنيه وقال له:

- أجب أمير المؤمنين إلى ما يريد منك،

فوقع جعفر على رجلى مسرور يقبلهما ويقول:

- دعنى أدخل دارى فأوصى.فقال مسرور:
- الدخول لا سبيل له، أما الوصية بما بدأ لك.

حمل مسرور جعفراً إلى منزل الرشيد وعدل به إلى قبة فضرب عنقه وحمل راسه على ترس إلى الرشيد وبدنه في نطع، لتنتهى قصة جعفر بن يحيى البرمكى.

ثم بطش الرشيد بالأسرة، فقبض على أبى جعفر وأهله وأصحابه وحبسهم، وصادر أموالهم، وسامهم سوء العذاب وأبدل ملكهم مذلة ونعيمهم بؤساً، وتساقطوا كأوراق شجر الخريف اليابسة، فمات يحيى ثم لحقه ولده الأفضل.

* الحاكم بأمر الله الفاطمى

تمثل شخصية الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمى الذي صعد إلى كرسى الخلافة الفاطمية في مصر والمغرب وهو إبن احدى عشر سنة، واحدة من أغرب

الشخصيات وأكثرها غموضا وجدلا في التاريخ البشرى كله، وليس فقط التاريخ الإسلامى.

فأفعال الحاكم وقراراته وفترة حكمه كانت غاية في الغرابة والجدل والتى تصل إلى أقسى درجات الجنون أحيانا كثيرة

ولم تكن نهاية ومقتل الحاكم وإختفاء جثته مما دعا طائفة تقول برجعته وتاليه وهىٰ فرقة الدروز، لم تكن بأقل غرابة من أفعاله وشخصيته العجايبية.

الحاكم بأمر الله الفاطمى هو سادس الخلفاء الفاطميين، لقبه المنصور وكنيته أبو على، تولى الخلافة والإمامة أى السلطة الدينية والزمنية بعد وفاة والده العزيز بالله عام ٣٨٦هجرياً وعمره أحد عشر عاما!، وإمتدت خلافته على مصر والشام والمغرب ربع قرن من الزمان حتى عام ٤١١ هجرياً، والدة الحاكم هى أم ولد (جارية) تنتمى إلى أسرة مصرية قبطية، وأنجبت من العزيز ثلاثة ابناء:

محمد الذي توفى صغيراً في حياة والده العزيز، والحاكم، وست الملك أخت الحاكم وأكثر نساء العصر الفاطمى شهرة، لما عرفت به من العقل والحزم والدهاء، وكان والدها العزيز يستأنس برأيها ومشورتها، وكانت سنداً عظيماً لأخيها الحاكم في بداية حكمه وهو صبى صغير، وعندما قتل الحاكم صانت عرش الخلافة لإبن أخيها الظاهر ورعته وساعدته حتى وفاتها.

ومن قرارات الحاكم التي كانت مثار إستغراب المؤرخين والمعاصرين له، إنه منع أكل الجرجير والملوخية، ومنع ذبح الأبقار إلا في عيد الأضحى، ومنع خروج النساء وكشف وجوههن، ومنع دخولهن الحمامات من غير مئزر، وحرم صيد السمك الذي لا قشر له، وأمر بقتل الكلاب.

وتخلص الحاكم من أقوى رجلين سيطرا على مقاليد الدولة مستغلين صغر سنه، وهما برجوان الصقلبى كبير الصقالبة وخدم الدولة، وفى أحد الأيام، دعا الحاكم برجوان للنزهة، فلما دخل برجوان فناء القصر قتله خادم الحاكم في لمح البصر ودفنه في مكانه.

أما الرجل الآخر فهو الوزير الحسن بن عمار شيخ قبيلة كتامة المغربية، الذي سيطر على الدولة لصالح عشيرته المغاربة وإستبد وطغى وتسلط على رقاب الناس، وقد تخلص منه الحاكم بعدما تخلص من برجوان حيث أمر الجنود الأتراك بتمزيق جسد أبن عمار تحت ظلام أحد الليالى، وتركوه غارقاً في بركة من الدماء.

ويمثل مقتل الحاكم وإختفاء جثته في ظروف غامضة لغزاً تكاثرت حوله التأويلات والتفسيرات، وقد جمع " محمد محمود خليل " في كتابه " الإغتيالات السياسية في مصر في عصر الدولة الفاطمية " عشر روايات مختلفة من المصادر والمراجع في محاولة للإجابة على سؤال:

- من قتل الحاكم وكيف؟

يمكن إيجاز أهم هذه الروايات فيما يلى:

- الرواية الأولى

إن الحاكم إتهم أخته ست الملك بالفجور، وأدعى عليها إنها حامل، فراسلت حسين بن دواس الكتامى والذى كان بينه وبين الحاكم وحشة وجفاء، فتواعدا على قتل الحاكم، ثم جاءت ست الملك بعبدين ودفعت إليهما ألف دينار ليقتلاً الحاكم، وفى ليلة نهته أمه عن الخروج فأبى وركب حماره وصعد إلى جبل المقطم مع ركابى وصبى يحمل أدواته، فخرج عليه العبدان فضرباه حتى مات، وقتلاً الصبى وأغرقا الحمار، وحملاً جثة الحاكم إلى أخته فدفنته، وبعد أن طالت غيبة الحاكم، أحضرت ست الملك حسين بن دواس ليأخذ البيعة للظاهر أبن الحاكم، فبايعه الناس، وبعد فترة دبرت ست الملك قتل العبدين وقتل إبن دواس ليموت سر مقتل الحاكم معهم، ثم ماتت هى بعد قليل.

- الرواية الثانية

بعد مقتل الحاكم بأربعة أعوام، قُبض على رجل من بنى الحسين في صعيد مصر، فأقر إنه قتل الحاكم في جملة أربعة أشخاص تفرقوا في البلاد، وعندما سيل لماذا قتله قال غيرة للإسلام ثم أخرج سكيناً وضرب به قلبه فقتل نفسه وقال هكذا قتلته.

- الرواية الثالثة

إن الحاكم خرج ليلاً قاصداً جبل المقطم الذي كان يعتكف فيه، وكان يرافقه ركابى، وفى الطريق إعترضه سبعة من البدو، إلتمسوا منه العطاء بجلافة

فطلب منهم أن يذهبوا إلى متولى بيت المال ليعطيهم خمسة آلاف درهم، فأبوا إلا أن يذهب الركابي معهم، فذهب الركابي بصحبة أربعة منهم وترك ثلاثة مع الحاكم، وعندما عاد الركابي لم يجد سيده، فوجد رجلاً وسأله إن كان قد رأى الحاكم وحماره، فقال الرجل إنه وجد الحمار في مكان ما معرقباً، وأخذ الركابي إلى حيث وجد الحمار، وفى اليوم التالى سارت ست الملك والأمراء والوزراء إلى الجبل يبحثون عن الحاكم، فوجدوا ثيابه المكونة من سبع جبات صوف مزررة وفيها أثر طعنات ودماء ولم يجدوا الجثة، فعلموا إن البدو الثلاثة الذين تخلفوا معه هم من قتلوه.

- الرواية الرابعة

إن القتلة هم من الأقباط اليعاقبة الذين كانوا في حرب عنيفة ضد الأقباط المالكيين أخوال الحاكم الذي ولد من أم مسيحية مالكيه.

- الرواية الخامسة

إن حسين بن دواس الكتامى والذى كان على خلاف وجفاء من الحاكم بأمر الله، وكان يتجنب الحضور إلى قصر الخليفة خوفاً على نفسه، دبر مع جماعة من أهل البادية بمصر قتل الحاكم، ولما قتل الحاكم، أدرك إبن دواس سوء فعلته وخطورتها، فإحتمى في بيته، ولكن ست الملك أخت الحاكم تحايلت عليه فجاءت به إلى القصر، وأرسلت رجلاً إلى دار بن دواس يفتشها فوجد في صندوق عنده سكين الحاكم الذي كان يحملها، فتحقق للجميع إن إبن دواس هو من واطا البدو على قتل الحاكم.

ورغم إختلاف الروايات والتى لا تخلو جميعها من تساؤلات تشكك في مدى مصداقيتها، إلا إن الثابت إن الحاكم بأمر الله قد قتل في ظروف وأسباب غامضة وأختفت جثته، وأصبح مقتله مثاراً للعجب كما كانت حياته وأفعاله.

❊ ❊ ❊

الفصل السادس

القاهرة: التاريخ..السحر..الذكريات

هى من أهم وأشهر وأعرق عواصم ومدن العالم، إن لم تكن أشهرها وأعرقها على الإطلاق، هى المدينة التي تنوعت صفحات التاريخ وأحداثه على سجلها العريق الذي فاق الألف عام، هى من أكبر عواصم العالم سكاناً ومساحة، وتغنى الشعراء بنيلها، وسهر المحبون في لياليها الساحرة، هى التي يجتمع لها الآثار المصرية القديمة، والآثار الإسلامية بتنوع عصورها منذ الفتح الإسلامى ومروراً بالعصر الفاطمى والمملوكى والعثماني، هى أم الدنيا بحق وحاضرة الماضى والحاضر والمستقبل إنها القاهرة عاصمة مصر المحروسة.

* لمحة تاريخية..

بدأت اللبنة الأولى لتأسيس المدينة الساحرة عندما وضع القائد جوهر الصقلى حجر الأساس لها في السادس من يوليو سنة ٩٦٩ ميلاديا، أى أكثر من ألف وخمسين عام، بعدما نجح الخليفة الفاطمى المعز لدين الله في غزو مصر من مقر الدولة الفاطمية التي قامت في المغرب العربى، وإتخذت القاهرة من هذا اليوم عيداً وطنياً.

ويمتد تاريخ القاهرة إلى ما قبل إنشاء القاهرة الفاطمية المعزية، من الناحية الجغرافية والتاريخية إذ يمكن القول إن القاهرة بإمتدادها الآن تشمل كل

المدن التي أُنشأت منذ الفتح الإسلامى لمصر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب على يد عمرو بن العاص رضى الله عنهما عام٦٤١ وإستلامها فعلياً في التاسع من سبتمبر عام ٦٤٢، وتأسيس مدينة الفسطاط الذي بدأ في العام نفسه.

ويرجح إنه تم تسمية المدينة بالفسطاط من أصل الكلمة اليونانية " فوساتون " والتى تعنى الخندق، وقد تم إختيار موقع المدينة بدقة، ولم يشأ المسلمون الفاتحون جعل الإسكندرية عاصمة لمصر، لإنها تمثل للمصريين السيطرة الأجنبية التي يكرهونها، وكذلك لإن الفاروق عمر قال:

- لا تجعلوا بينى وبينكم ماء، حتى متى أردت أن أركب إليكم راحلتى حتى أقدم عليكم قدمت، وكذلك موقع الفسطاط يسمح بالسيطرة على الدلتا ومنتجاتها الزراعية وتمثل نقطة مرور محورية أكثر سهولة بين مدن مصر، ولم تكن الفسطاط تضم منشآت هامة حينها إلا حصن بابليون الذي كان أيضا يحمل إسم قصر الشمع، وقد شيد عمرو بن العاص مسجداً صغيراً الذي يعرف الآن بجامع عمرو بن العاص بعد توسعته، وقد توسعت الفسطاط وزاد عمرانها بعد إستقرار الفتح الإسلامى لمصر وإعتبار الفسطاط المركز السياسى والإدارى لمصر الولاية الإسلامية وعين فيها بعد عبد العزيز بن مروان والياً على مصر فأعاد تشييد جامع عمرو بن العاص عام ٦٩٨، وقام بتشييد مقر جميل يعرف بالبيت الذهبي، وتم تشييد ترسانة بحرية في الروضة عام ٦٧٣.

وفى عهد الخلافة العباسية، قرر الوالى العباسى أبوعون تأسيس مقر جديد للإدارة عام ٧٥١ م، ومنح المقر الجديد إسما لا يخلو من مغزى سياسى عسكرى إشارة إلى تولى خلافة جديدة، فكانت مدينة العسكر شمال الفسطاط أسفل جبل يشكر على طول النهر، ثم تم تشييد جامع العسكر ودور جميلة حول المدينة وزادت الأسواق والمباني حتى توسعت المدينة وأصبحت عاصمة جديدة للولاية.

وفى العصر العباسي الثانى، بدأت مركز الخلافة تضعف وتضعف سلطة الخليفة العباسي على حساب الولاة والقادة الأتراك الذين أكثر من جلبهم الخليفة المعتصم، وإنتشرت ظاهرة إستقلال الولاة الأقوياء بولاياتهم، وكان أحمد بن طولون رجلاً عسكرياً من أصل تركى عاش في بلاد ما وراء النهرين بمدينة سامراء خاصة، وخدم الخليفة المستعان بمهارة ونجاح أهلته للتعيين والياً على مصر وتأسيس الدولة الطولونية التي إمتدت لتشمل سوريا أيضا، في المرة الأولى منذ الفتح العربى الإسلامى التي تصبح فيها مصر دولة مستقلة تحت مظلة الخلافة العباسية والتى إستمرت في الفترة ما بين ٨٦٨ حتى ٩٠٥، وإتسمت هذه الفترة بالقوة السياسية وأبهة الحياة والتألق الفنى، مما إنعكس على العاصمة التي أنشاها الطولونيون في القطايع.

قاهرة المعز

حصلت الدولة الفاطمية على إسمها نسبة إلى السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها إبنة الرسول ﷺ، وزوجة الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه،

ويدعى الخلفاء الفاطميون إنهم ينحدرون من نسلها عن طريق الإمام إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق، إلا إن هناك لبس وغموض يحيط بهذا التسلسل ويشكك المؤرخون السنة في هذا النسب، والفاطميون فرقة شيعية ينتمون إلى فرقة الإسماعيلية وهى فرقة دينية سياسية فلسفية إجتماعية ينتظر أنصارها ظهور المهدى المنتظر المنحدر من نسل الرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق السيدة فاطمة والإمام على، وظهرت الإسماعيلية في القرن التاسع الميلادي كتنظيم ثورى سرى مسلح وقامت بنشاط لنشر دعوتها عن طريق دعاة مرسلين إلى مختلف البلدان الإسلامية.

نجح الفاطميون في تكوين دولة لهم في شمال أفريقيا (تونس) وتم الإعتراف بعبيد الله المهدى إماما وأول خليفة للدولة الفاطمية في مدينة قيروان وأنشأ مدينة المهدية التي كانت تشبه إلى حد كبير القاهرة فيما بعد، بعد وصول رابع خليفة فاطمى للحكم وهو المعز لدين الله الذي إمتاز بالنشاط والطموح للتوسع، وتحقيق أمل الدولة الفاطمية في السيطرة على مصر، يعاونه القائد جوهر الصقلى وهو من أصل يوناني، وساعدته الظروف المضطربة في مصر حينها من فساد إستشرى في الدولة الإخشيدية، والغلاء والمجاعات وجفاف النيل، وكذلك وفاة كافور الإخشيدى العبد الخصى القوى الذي كان يحاول الحفاظ على حكم مصر.

كان المعز لدين الله على علم تام بالظروف التي تمر بها مصر، وقد وعى دروس المحاولات الفاشلة السابقة لغزو مصر، فقام بإعداد حملته على مصر

بعناية، فقد تحقق من حالة الآبار على الطريق المؤدى لمصر، وشيد الحصون في مواقع مختلفة على طول الطريق، وجهز ١٠٠ألف جندى تحت قيادة جوهر الصقلى القائد النشط الهمام، وكان الجيش يحمل معه ألف صندوق محملة بالمال والذهب للتأثير على المصريين.

وصل جيش جوهر الصقلى مصر في شهر يونيو من عام ٩٦٩ م، وأصدر الصقلى بياناً وعد فيه بإجراء إصلاحات مالية والقضاء على الفساد، وضمان حقوق وحرية المصريين الدينية سواء بالنسبة للمسلمين السنيين أو الأقليات المسيحية واليهودية وهم الذميين، ولم يلاق الجيش الفاتح مقاومة تذكر سوى مقاومة ظاهرية من جانب الإخشيديين، وتمكن جوهر من عبور النيل وإجتياز مدينة الفسطاط ثم إستقر شمالى المدينة حيث أسس فيما بعد عاصمته الجديدة.

كان تشييد مدينة " تقهر الدنيا " من بين أهداف المعز في حملته على مصر، وفى نفس الليلة التي إستقر فيها جوهر الصقلى في الموقع وهى السادس من يوليو من العام نفسه، قام الصقلى بتعليم مسار سورالمدينة عن طريق وضع قوائم خشبية يمتد فيما بينها حبل علقت فيه أجراس، وتم الإتفاق على أنه يتم وضع الأساسات الأولى للسور حين يحدد المنجمون اللحظة المناسبة ويختارون طالعاً سعيداً.

وتختلف الروايات في ذلك، فهناك من يقول إن غرابا حط على الحبل الذي إهتز فدقت الأجراس، وإن المنجمين إكتشفوا في هذه اللحظة كوكب المريخ

" القاهر " ومن هنا حصلت القاهرة إسمها، ويقال أيضاً إن المعز لدين الله أعطى أمراً لجوهر الصقلى بتشييد مدينة " تقهر الدنيا "، ورواية أخرى إنها سميت في البداية المنصورية ولكن المعز قام بتغيير الإسم إلى قاهرة حين وصوله مصر بعد مضى أربع سنوات.

ويمكن إلقاء نظرة على صورة القاهرة بعد فترة قصيرة من تأسيسها، من خلال وصف الرحالة العراقى ابن حوقل الذي زارها في عام ٩٧٣ م. أى بعد أربع سنوات من تاسيسها بقوله:

" وقد إستحدثت المغاربة بظاهر مصر خارج الفسطاط مدينة سمتها القاهرة إستحدثها جوهر صاحب أهل المغرب عند دخوله مصر لجيشه وشمله وحاشيته، وقد ضمت من المحال والأسواق وحوت من أسباب القنية (الغنم والابل) والارتفاق (المنافع) بالحمامات والفنادق إلى قصور مشيدة ونعم عتيدة، وقد أحدق بها سور منيع رفيع يزيد على ثلاثة أضعاف ما بنى بها، وهى خالية كأنها تركت محالاُ للسائمة (الماشية) عند حصول خوف، وبها ديوان مصر ومسجد جامع نظيف غزير القوام والمؤذنين ".

* القاهرة الأيوبية

إستطاع صلاح الدين الأيوبي الإستيلاء على السلطة من الفاطميين، وأدت وفاة الخليفة الفاطمى وإضطراب أحوال مصر أواخر العهد الفاطمى إلى وصول صلاح الدين الأيوبي إلى حكم مصر تحت سيادة السلطان نور الدين

في دمشق، والذى بعد وفاته إنفرد صلاح الدين بحكم مصر، بل ضم إليها الشام مؤسساً الدولة الأيوبية، ويحصل على شرعيته من الخليفة العباسي، لتلعب مصر تحت حكم صلاح الدين الأيوبي دوراً هاماً في التاريخ الإسلامى بصد الحملات الصليبية ودخول بيت المقدس، رغم إن الدولة الأيوبية لم تدم إلا أقل من قرن بقليل، ومثل صعود الأيوبيين إلى حكم مصرعودة حكامها إلى عقيدة السنيين، فقد فشل الفاطميون طوال قرنين من الزمان في فرض أو إجتذاب المصريين إلى المذهب الشيعى الإسماعيلي، بل ساهم الأزهر والذى أسسه الفاطميون لنشر المذهب الإسماعيلي، في نشر المذهب السنى وأصبح منارة للعلم الشرعى السنى منذ قيامه والى الآن.

قرر صلاح الدين الأيوبي إنشاء قلعة في القاهرة على إنحدار يقع أمام جبل المقطم على بعد كيلو واحد من سور القاهرة الجنوبي وذلك عام ١١٧٦م.

وذلك لتكون مقراً للحكم وتأمين المدينة ضد الأخطار الخارجية والداخلية من الفاطميين وأتباعهم وكذلك الصليبيين.

أسند صلاح الدين الأيوبي مهمة تشييد القلعة إلى رجله المؤتمن بهاء الدين قراقوش الأسدى، وقد كان مملوكاً لشيركوه، والذى قام بأعمال ضخمة ماهرة لتشييد القلعة، ويبدو أن قراقوش قد إستخدم العديد من الأيدى العاملة المجانية بقسوة وإجبار في هذا العمل، حتى إنطبع شخصية قراقوش لدى المصريين بالظلم والغشم، وأطلق المثل الشعبى المصرى الشهير " حكم

قراقوش" واصفاً أى قرار ظالم أوغشوم، كما كثرت الروايات من جانب أعداء قراقوش تصفه بالحمق والغباء في نوادر لا تكاد تصدق.

وقد ظلت قلعة صلاح الدين الأيوبي في المقطم مقراً للحكم والإدارة حتى عهد الخديوي إسماعيل من الأسرة العلوية، الذي نقل مقر الحكم إلى قصر عابدين.

ملامح قاهرية...

* مآذن القاهرة

ربما لا تنفرد مدينة بتنوع المساجد والمآذن فيها مثلما تتفرد القاهرة بذلك، بل تتنوع أشكال وسمات المآذن بتنوع العصور والعهود الحضارية المختلفة، التي شهدتها القاهرة كمدينة شاهدة على التاريخ.

ويجمع المؤرخون إن أول مئذنة في القاهرة هى مئذنة مسجد أحمد بن طولون الذي شيده في مدينته القطايع وهى على شكل مخروط، وتشبه تماماً مئذنة جامع سامراء العراقية التي قضى فيها أبن طولون أول حياته.

وبالقرب من مركز السماء فوق جبل المقطم تقوم ميذنة الجيوشى، وهى ثانى المآذن التي خلفها العصر الفاطمى، وتعتبر أقدم مئذنة من الطراز المعروف بالمبخرة.

أما من العصر الأيوبي، فالمئذنة الوحيدة التي بقيت سليمة هى مئذنة مدرسة الصالح نجم الدين أيوب وتوجد في منطقة الصاغة في شارع بين القصرين.

وتتنوع مآذن القاهرة العتيقة ما بين مئذنة جامع الحاكم بامر الله، ومئذنة مسجد أبى الغضنفر، ومئذنة مسجد الحسين رضى الله عنه، ومئذنة مسجد المنصور قلاوون ومئذنتى شيخون، ومئذنتى المارداني واقبغا ومسجد السلطان الغورى والسلطان الأشرف قايتباى، ومئذنة الجامع الأزهر.

أزهر القاهرة الشريف

يرتبط تاريخ ونشأة الجامع الأزهر إرتباطا وثيقاً بتشييد مدينة القاهرة، والأزهر ليس مسجداً أو جامعاً فقط، فهو منارة للعلم والعلماء ورمز من رموز الإسلام السنى وتاريخ نضال العالم الإسلامى عبر ما يزيد عن الألف عام، فالأزهر الشريف له مواقف وبصمات ومآثر كثيرة، ومنها موقفه وموقف الإمام العز بن عبد السلام ضد المغول، وكذلك جهود علمائه في الدعوة ونشر العلم والإصلاح في أنحاء العالم الإسلامى، فقد قام الأزهر الشريف مقام مدارس بغداد في الشرق ومدارس الأندلس وقرطبة في الغرب، لينفرد كأكبر منارة علمية إسلامية صاحبت مولد القاهرة المدينة.

وتختلف الروايات والتفسيرات في إطلاق إسم الأزهر عليه، هناك من يقول إنه نسبة إلى فاطمة الزهراء إبنة الرسول ﷺ والتى إليها ينسب الفاطميون، وآخرون يفسرون التسمية نسبة إلى القصور الزاهرة التي أحاطت به عند بناء القاهرة، أم تيمناً بما سيصير إليه من مكانة وإزدهارعلمى، رداً على مدينة الزهراء الأموية بالأندلس التي سبقت ميلاد الأزهر بنحو أربعة وثلاثين عاماً.

وللأزهر الشريف ٣٦ رواقاً يؤمها طلاب العلم من مشارق الأرض ومغاربها، ومن هذه الأروقة رواق الحرمين والمدينة، رواق الشام، رواق الجاويين وهو لأهل جزر الهند الشرقية، ورواق المغاربة وهو رواق هام كبيرلأهل شمال أفريقيا، ورواق الصعايدة أهم أروقة المالكية، وكان أكابر علماء الأزهر يتخذون مجلسهم بجوار هذا الرواق كما ذكر على مبارك في الخطط التوفيقية وكان تقسيم الأزهر إلى أروقة يتبع تارة جنسيات الطلبة وتارة أخرى التقسيم المذهبى.

أما كلمة (المجاورين) فهى نسبة إلى سكنى طلاب الأزهر بجواره ويذكر على مبارك في خططه إن الأزهرالشريف كان به ١٠٧٨٠مجاورة تقسم إلى ٣٦٥١ شافعياً و٣٨٢٦ مالكياً، و١٢٧٨حنفياً، ٢٥ حنبلياً، وبالطبع تضاعفت هذه الأعداد بمرور الزمن وخاصة في القرن العشرين.

* بيوت القاهرة

من المؤكد إختلاف منازل وبيوت القاهرة القديمة من حيث المساحة والرفاهية وفخامة البناء، حسب المستوى الإجتماعى والمادى للمصريين حينها، وقد إمتد عمران القاهرة بصورة كبيرة بعدما إقتصر في بداية إنشايها على الأسرة الفاطمية الحاكمة، كانت الشوارع ضيقة غير مرصوفة، مبلطة بالحجارة المضلعة، بينها مساحات هائلة من الإتساع، البيوت غير منظمة الشكل، تتفرع منها أزقة ضيقة، المنازل متلاصقة حتى إن الأسطح تكاد تتلاصق، وفى نهاية كل زقاق أو مجموعة منازل جامع صغير للصلاة، جدران

المنازل لا تلمح فيها إلا المشربيات التي تتشابه كثيراً في معظم البيوت، وهناك نوعان من المشربيات، نوع يطل على الفناء الداخلي والتى تطل على حديقة أو فناء وهذه أجمل من المشربيات المطلة على الطريق، حيث يمكن للنساء النظر من خلال مشربيات الحديقة فيحرصون على أن تكون أكثر جمالا.

والمشربية لا تسمح للجيران أن ينظروا ما وراءها، ولكنها تسمح بتخلل الهواء خلالها، ويمكن للجالس رؤية المارة في الطريق من حيث لا يرونه.

و يتميز البيت بإن غرف النساء معزولة فوق، فلا يمكن للضيف أن يرى الحريم، ويمكن أن نجد حديقة جميلة تتوسطها نافورة مرصعة بالرخام الملون، وفى أقصى الفناء نجد بئراً للماء.

ومن أشهر بيوت القاهرة القديمة بيت السحيمي " الدرب الأصفر بالجمالية"، وقصر المسافر خانة " حارة درب الطبلاوي بالجمالية"، وقاعة محب الدين " بيت القاضى بالجمالية"، وبيت مصطفى جعفر " شارع المعز "، ومنزل جمال الدين الذهبى " حارة خوش قدم بالغورية "، وقاعة الأمير بشتاك " شارع المعز ".

و منزل السنارى بالسيدة زينب.

هذه بعض نماذج بيوت القاهرة القديمة التي ما زالت شاهدة على تاريخ وعصر وتقاليد، حيث تضم تراثاً معمارياً وحضارياً وتاريخياً فريداً، قد لا يوجد مثيله في أى مدينة بالعالم.

وقد عرفت البيوت المصرية القديمة دورات المياه الخاصة في الوقت الذي لم تكن أوروبا تعرفها، مما جعل جنود الحملة الفرنسية يعجبون جدا بها، إذ يرون المصريين يدخلون لقضاء حاجتهم والإغتسال في هذه المقاصير الفسيحة بخصوصية تامة وأمان.

وتميزت غرف الحريم بالخصوصية التامة حيث كلمة حريم تعنى محرم على الغريب، فلا ينفذ إليها غير رب البيت.

*** أسواق القاهرة**

تميزت القاهرة القديمة بأسواقها العتيقة التاريخية المتميزة والتى ما زالت قائمة حتى الآن، مثل سوق الغورية، وخان الخليلي، والحمزاوى المشهور بالتوابل والعطور، وكان للسوق القاهرية هندسة بناء خاصة، تستر خلفها علاقات متشابكة بين البشر ورؤية خاصة للحياة، ويحدثنا المقريزى واصفاً أحد أسواق القاهرة:

"...والقصبة هى أعظم أسواق مصر، وسمعت غير واحد ممن أدركته من المعمرين يقول إن القصبة تحتوي على إثنى عشر ألف حانوت ".

وتميزت أسواق القاهرة القديمة بالتقسيم النوعى أو المتخصص، فحوانيت القصابين أى الجزارة تصطف متجاورة، تبيع لحم الضأن والماعز، ومكان هذا السوق الآن تجار يبيعون الليمون، أما سوق الحمزاوى فمتخصص في العطور والتوابل والعطارة، وهناك حوانيت الفحامين بجوار متاجر الأحذية،

والخرنفش تجار الخيش والكهنة القديمة، أما التمبكشية فهم تجارالتمباك والدخان وتحت الربع مخصص للأدوات المنزلية، وسور الأزبكية للكتب القديمة، والموسكى للثياب والأدوات المنزلية، أما سوق الرويعي فلوازم الحياكة وأدوات الخياطة، والصاغة للذهب والمجوهرات، ووكالة البلح للمنسوجات والملابس الشعبية، أما خان الخليجى فللتحف والهدايا، وكانت حوانيت نفس النشاط متجاورة ولا يخش التجار فوات الرزق رافعين شعار " الأرزاق على الله ".

وبعد سوق القصاصين يجيء سوق " المرحلين" كاقدم أسواق القاهرة القديمة، ويختص بلوازم الجمال عند الرحيل للسفر، وكان يقصده كل سكان مصر خاصة في موسم الحج لتجهيز الجمال، وبدأ خراب هذا السوق في عصر السلطان برقوق ولم يعد له أثر الآن ومكانه شارع السيارج، وهناك سوق حارة برجوان وزير الحاكم بأمر الله، والذى كان يعرف أيام الخلفاء الفاطميين بسوق أميرالجيوش وكان هذا السوق معمور الجانبين من باعة اللحم والخبازين والزياتين، والعطارين والجبانين، وقد خرب هذا السوق بعد سنة ٦٠١ هجرياً وهو الآن موضع تجار أقمشة، وبجوار مسجد الأقمر نجد سوق الشماعين حيث تباع الشموع الضخمة التي تحمل في المواكب وكانت حوانيته تظل مفتوحة حتى منتصف الليل، ويجلس بها بغايا يقال لهن زعيرات الشماعين، وكان لهن زى خاص، وكانت تعلق بهذا السوق الفوانيس في المواسم والأعياد فتصير رؤيته في الليل مبهجاً جميلاً.

و يلى سوق الشماعين سوق الدجاجين وفيه يباع الدجاج والطيورالمتنوعة، ويباع فيه أيضاَ عصافير محبوسة كان من عادة الأغنياء شرائها ليعتقوها، أما سوق السلاح فقد نقل إلى مكان قرب القلعة ولا يزال الأسم عالقاً بالمكان حتى اليوم .

وقد ذكر المقريزى ثمانية وثلاثين سوقاً كانت موزعة في القاهرة القديمة تدل على تنوع الحياة الإجتماعية والإقتصادية وثرائها في القاهرة القديمة، فبالإضافة لما سبق من أسواق شهيرة كبرى يوجد أيضا سوق الحلوى، وسوق السروجيين، وسوق الشرابيشيين التي يباع فيها الخلع التي يلبسها السلطان للأمراء، وسمى بذلك نسبة إلى الشرابيش وواحدها شربوش وهو يشبه التاج على شكل مثلث على الراس بدون عمامة، وقد بطلت الشرابيش في عهد الدولة الجركسية، ولا يوجد لهذا السوق أثر الآن.

كما وصف المقريزى سوق الحلاويين لبيع منتجات الحلوى من تماثيل تسمى علاليق وأحدها علاقة، وقد يكون هذا السوق أصل حارة السكرية الشهيرة في ثلاثية أديب نوبل نجيب محفوظ.

وأيضا كان يوجد سوق للآلات الموسيقية وحوانيت صناعة العود والقيثارة، ولا يزال حتى الآن بعض هذه المحال التي تبيع اللآلات الموسيقية تقع بالقرب من هذا المكان المجاور لشارع محمد على المعروف أنه مقر الفرق الفنية التي تحيى الأفراح والليالى.

وكان سوق العبيد بجوار باب النصر، ثم نقل إلى خان الخليلي، كان يعرض فيه الرجال والنساء للبيع.

*** مقاهى القاهرة**

مثلت المقهى جانبا هاما حاضرا بقوة في الحياة الاجتماعية في القاهرة القديمة، مقاهى القاهرة عالم فريد خاص يموج بالحياة، حيث يجلس ويجتمع الناس حول الكراسي متقابلين، يتبادلون الأحاديث، وقضاء الحاجات، والمصالح المادية، وعقد الصفقات، وأحاديث السياسة أو الأدب أو حتى النميمة، ورغم أن القهوة كمشروب والتى إستمد منها المكان إسمه لم تعرف في مصر إلا في القرن السادس عشر الميلادي، إلا إن المقهى كمكان تجمع الناس وتناول المشروبات والأحاديث كان موجوداً بشكل مختلف عن المقهى المتعارف عليها بعد وجودها.

وقصة دخول القهوة كمشروب مصر قصة شيقة صاحبها لغط فقهى وإجتماعى بل سال فيها دماء، ويذكر أن رجلاً أسمه أبو بكر بن عبد المعروف بالعيدروس كان يمر في سياحته بشجر البن فإقتات من شجره حين رآه مثمراً مع كثرته، فوجد فيه تنشيطاً للدماغ وجلباً للسهر ومساعداً للتركيز، فاتخذه شرابا، ويقال أن دخول القهوة مصر من خلال طلاب الأزهر اليمنيين في رواقهم وكانوا يشربون القهوة وتساعدهم على النشاط والسهر، ومن هنا إنتشرت القهوة وإتخذت لها محالاً للبيع، إلا إن إنتشارالقهوة صاحبه إختلاف حول هل هى حلال أم حرام، وأفتى شيخ الشافعية بحرمتها وطارد العسكر

محلات بيعها وشاربيها، بل قتل بعض الأشخاص في الإشتباكات، فوزع تجار القهوة في عزاهم قهوة سادة تعبيراً عن الحزن، فأصبحت القهوة السادة عادة في حالات الوفاة، إنتشرت المشكلة وتفاقمت بل وصلت إلى السلطان التركى الذي أصدر قراراً بالسماح بتناول القهوة ومن هنا عرفت القهوة بإسم " القهوة التركى" ووزع اصحاب محلات البن قهوة بسكر زائد تعبيراً عن الفرح والإنتصار فأصبحت نوعاً من مذاقات القهوة، وإنتشرت في القاهرة الأماكن التي تقدمها فغلب عليها مسمى " المقهى " حيث كانت موجودة من قبل وتقدم مشروبات قبل معرفة القهوة كمشروب، مثل الحلبة والكركديه، والقرفة والزنجبيل.

وينقل لنا المستشرق الإنجليزى إدوارد وليم الذي زار القاهرة وعاش فيها في القرن التاسع عشر، في كتابه " المصريون المحدثون":

"إن القاهرة بها أكثر من ألف مقهى، والمقهى غرفة صغيرة ذات وجهة خشبية، وفى داخل المقهى مقاعد متشابهة على جانبين أو ثلاثة، ويرتاد المقهى أفراد الطبقة السفلى والتجار، وتزدحم بهم عصراً ومساء، وهم يفضلون الجلوس على المصطبة الخارجية، ويحمل كل منهم شبكه الخاص وتبغه، ويقدم القهوجي القهوة بخمس فضة للفنجان الواحد، أو عشرة فضة للبكرج الصغير الذي يسع ثلاثة فناجين أو أربعة، ويحتفظ القهوجي أيضا بعدد من آلات التدخين من شيشة ونرجيلة وجوزة، التي تستعمل في تدخين

التمباك والحشيش الذي يباع في بعض المقاهى ويتردد الموسيقيون والمحدثون على بعض المقاهى وخاصة في الأعياد الدينية ".

أما الشاى فيقدم أيضا مع القهوة في المقاهى، وهو مشروب حديث عرفته مصر في القرن التاسع عشر، وكانت المقاهى قديماً وقبل ظهور وإنتشار المذياع، أماكن مخصصة لرواية قصص السير الشعبية والملاحم، حيث يستقدمهم أصحاب المقاهى لإجتذاب الزبائن بالتسلية، وبعضهم يعرف بالهلالية لتخصصهم في سيرة أبى زيد الهلالى، أما " الظاهرية " فتخصصهم سيرة وقصة السلطان الظاهر بيبرس، كما كانت تروى قصص أخرى مثل سيرة الأميرة ذات الهمة والدرة الملكة في فتح مكة المبجلة، وفتوح اليمن المعروفة برأس الغول.

كما كانت هناك قصص أخرى تروى مثل قصة سيف أبن ذى يزن، وألف ليلة وليلة، وسيرة عنترة العبسى.

وكان العصرالذهبى للمقاهى في القرن التاسع عشر، حيث القاهرة الهادئة الجميلة تزخر بالعديد من المقاهى الشهيرة مثل مقهى نوبار الذي توجد مكانه الآن مقهى المالية، وكان مجمعاً للفنانين ومنهم عبده الحامولى وصديقه باسيلى بك عريان، أما ميدان الأوبرا فكان به مقهى السنترال وموضعه الآن جزء من ملهى صفية حلمى في ميدان الأوبرا ويعرف بإسم كازينو الأوبرا، وكانت تعقد به ندوات أدبية للأديب الكبير نجيب محفوظ كل يوم جمعة، أما مقهى

متاتيا فمكانه ميدان العتبة الخضراء، وكان من رواده الإمام محمد عبده، وجمال الدين الأفغانى، والمحامى المشهور إبراهيم الهلباوى، ثم العقاد وإبراهيم المازني.

أما شارع محمد على فكانت مقهى " التجارة " أشهر مقاهيه وهى من أقدم مقاهى القاهرة حيث يزيد عمرها عن مائة وخمسين سنة، ومعظم رواده من الموسقيين المنتمين لفرق حسب الله الموسيقية.

هذه ملامح سريعة تمثل مقتطفات طريفة للحياة الإجتماعية والتاريخية لمدينة التاريخ والسحر والذكريات التي بالطبع تحتاج آلاف وآلاف الكتب لحصر ما فيها من أحداث تاريخية، ومشاهد بطولات ومعارك، وآثار حضارية تشهد بعظمة هذه المدينة الرايعة، وحكاوي وعادات وقصص إجتماعية متنوعة.

هذه هى القاهرة المدينة التي زارها وعاش فيها ودفن الكثير من عمالقة ومشاهير التاريخ والحضارة الإسلامية منهم: الإمام الشافعى صاحب المذهب السنى الشهير، والإمام العالم الليث بن سعد، وأبن سيرين، وأبن خلدون رائد علم الإجتماع صاحب المقدمة الشهيرة، ومن قبلهم بالطبع صاحب فتح مصر الصحابى الجليل عمرو بن العاص رضى الله عنه.

مصر الشيخ السيوطي وإبن تغرى بردى، والمقريزى، والإمام العز بن عبد السلام، وعبد العزيز بن مروان أميرها وفى حلوان ولد الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبدالعزيز، القاهرة الأزهر بعلمائها الأجلاء على مدار

العصور، القاهرة الإمام محمد عبده والعقاد وطه حسين ونجيب محفوظ، وتوفيق الحكيم، ورواد الفن أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب.

* قالوا عن القاهرة

إنبهر كثير من الرحالة والعلماء والمستشرقين بالقاهرة حين زاروها، وسجلوا إعجابهم بها وشهادتهم لها في أقوالهم.

فهذا إبن خلدون الذي ما كاد يدخل القاهرة حتى وقع في حبها والإعجاب بها فقال:

- " رأيت حاضرة الدنيا وبستان العالم، ومحشر الأمم، ومدرج الذر من البشر وإيوان الإسلام وكرسي الملك تلوح القصور والأواوين في جوه، وتزهو الخوانق والمدارس والكواكب بإفاقه وتضيء البدور والكواكب من علمائه، مررت في سكك المدينة تغص بزحام المارة، أسواقها تزخر بالنعيم ".

أما ناصر خسرو الذي زارها في القرن الحادى عشر فيقول عنها:

- " وفى المدينة بساتين وأشجار بين القصور تسقى من ماء الآبار، وفى قصر السلطان بساتين لا نظير لها، وقد نصبت السواقى لديها ، وغرست الأشجار فوق الأسطح فصارت متنزهات ".

ويستكمل خسرو شهادته وإعجابه بالقاهرة:

- " وكانت البيوت من النظافة والبهاء بحيث تقول إنها بنيت من الجواهر الثمينة لا من الجص والأجر والحجارة، ويستطيع كل مالك أن يعمل ما ينبغى لبيته في كل وقت، من هدم أو إصلاح، دون أن يضايق جاره ".

أما عبد اللطيف البغدادي الذي زارها في القرن الثانى عشر فيسجل هو الآخر إعجابه وحبه القاهرة فيقول:

- "...وأسواقهم وشوارعهم واسعة وأبنيتهم شاهقة، ويبنون بالحجر النحيت والطوب الأحمر وهو الأجر وشكل طوبهم على نصف طوب العراق.

وأما حماماتهم فلم أشاهد في البلاد أتقن منها وضعا ولا أتم حكمة ولا أحسن منظراً ومخبراً ".

وقد فتن الرحالة الغربيون والمستشرقون أيضا بجمال وسحر وتاريخ القاهرة، وسجل العديد منهم شهادتهم لها في رحلاتهم وكتاباتهم.

ومنهم " ديسمونت استيوارت " في كتابه " القاهرة " وفيه يقول:

- " إنها مدينة مسلمة نشأت بفضل دين محمد النبى العربى، هى عند المسلمين لا تقل جلالاً عن مكة، التي تتجه إليها قبلة الصلاة في مساجد القاهرة، ولا عن المدينة مثوى الرسول ".

❋ ❋ ❋

المصادر والمراجع

- البداية والنهاية: إبن كثير
- السيرة النبوية: إبن هشام
- السيرة النبوية: إبن إسحاق
- تفسير إبن كثير
- سير إعلام النبلاء: الذهبى
- تاريخ الأمم والملوك: إبن جرير الطبرى
- الكامل في التاريخ: إبن الأثير
- الصليبيون في الشرق: ميخائيل زابوروف.
- معركة عين جالوت: محمد على شاهين
- معركة اليرموك: يوسف غوانمة
- بلاط الشهداء: د.شوقى خليل.
- أبن خلكان: وفيات الأعيان.
- أبن طباطبا: تاريخ الدول الاسلامية.
- خالد سعيد: أشهر الإغتيالات في الإسلام.
- محمد محمود خليل: الإغتيالات السياسية في مصر في عصر الدولة الفاطمية.
- القاهرة في حياتى: د.نعمات أحمد فؤاد
- ملامح القاهرة في ١٠٠٠ سنة: جمال الغيطانى.

- الأغانى: أبو الفرج الأصفهانى
- العقد الفريد: إبن عبد ربه.

❊ ❊ ❊

فهرس الكتاب

مقدمـة ٩

الفصل الأول - النعمان بن المنذر.. بين الحيرة وذي قار ١١

الفصل الثاني - الله يهدى من يشاء ٢١

الفصل الثالث - أعظم مشاهد التاريخ الإنسانى ٣٥

الفصل الرابع - معارك شهيرة حاسمة في التاريخ الإسلامى... ٥٧

الفصل الخامس - إغتيالات شهيرة في التاريخ الإسلامى ٨١

الفصل السادس - القاهرة: التاريخ، السحر، الذكريات ١١٣

المصادر والمراجع ١٣٣

فهرس الكتاب ١٣٥

❊ ❊ ❊

الكاتب في سطور

د. مدحت محمد العزب

- من مواليد القاهرة (١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م)
- تخرج في كلية الطب - جامعة القاهرة - سنة (١٩٩١م) بتقدير جيد جيداً مع مرتبة الشرف وعمل طبيبا بمستشفياتها .
- حصل على الماجستير في الطب - تخصص باطنية وكبد - من جامعة القاهرة بتقدير جيد جداً وكانت رسالة الماجستير في الالتهاب الكبدي .
- حصل على الدكتوراه من أكاديمية MSA للعلوم الطبيه بالمملكة المتحده ،وكلية لندن للعلوم والآداب والتكنولوجيا.
- زميل كلية لندن للعلوم والآداب والتكنولوجيا .
- حصل على "دبلوم الدراسات الإسلامية" من كلية"دار العلوم" جامعة القاهرة و على"دبلوم في الإدارة"، و"دبلوم السياسة والإقتصاد والعلاقات الدولية" سنة (١٩٩٧م) من جامعة عين شمس.
- وله دراسات أكاديمية ومقالات في الدراسات والعلوم الإسلامية ومقارنة الأديان،وعلوم الادارة،والجودة الطبية،وإدارة الأعمال الطبية.
- ومن ابرز الموضوعات التى تناولتها أبحاث ومقالات الدكتور مدحت العزب نقل الأعضاء بين الطب والدين والقانون، إسهام المسلمين في الحضارة الإنسانية، إثبات النسب بين الطب والشرع والقانون، العلاقات الدولية في الإسلام، الإسلام والمدينة الفاضلة " دراسة متكاملة عن الإسلام كمجتمع مثالي".